حُكمُ الإسْلام

في الديمقراطيّة

والتعدديّة الحزبيّة

بقلم
عبد المنعم مصطفى حليمة



بقلم

عبد المنعم مصطفى حليمة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم


حُكمُ الإسْلام
في الديمقراطيّة
والتعدديّة الحزبيّة

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٩١ ر ٢١٦

عبد عبد المنعم مصطفى حليمة

حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية / عبد المنعم مصطفى حليمة

عمان : (د . ن) ، ١٩٩٣ م . (١٢٨) ص .

ر . أ (٥٩٣ / ٦ / ١٩٩٣) .

١ - الإسلام - نظام سياسي أ - العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

الأردن - عمان

الرمز البريدي ١١١١٨

ص . ب ١٨٣٤٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنِ الحكمُ إلاَّ للهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ ، ذلك الدّينُ القيّمُ ولكِنَّ أكثرَ النَّاس لايعلمون ﴾ . سورة يوسف : ٤٠

﴿ واللهُ يَحكُمُ لامُعقِّبَ لحكمِهِ وهو سَريعُ الحِساب ﴾ .

سورة الرعد ٤١

﴿ إنَّ الله يحَكمُ مايريد ﴾ . سورة المائدة : ١

﴿أفحكْمَ الجاهِليَّة يَبغُون ومَن أحسَنُ مِنَ اللهِ حكماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾

.سورة المائدة : ٥٠

﴿ فلا ورَبِّكَ لايُؤمنونَ حتَّى يُحَكِّموكَ فِيما شَجَرَ بينَهُم ثُمَّ لايَجِدُوا في أنفُسِهم حَرَجاً مِمَّا قضيت ويُسَلِّموا تَسليماً ﴾ .

سورة النساء : ٦٥

﴿ وَمَا كانَ لمؤمِنٍ ولا مُؤمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ ورَسُولُه أمْراً أن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أمرِهِم ﴾ .

سورة الأحزاب : ٣٦

مقدمة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يَهد الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أمَّا بعد :

تتنامى حركة المد الإسلامي - وعياً وقوة - في أمصار المسلمين ، وترتفع أصوات الشعوب المسلمة بالضرورة الملحة بالرجوع إلى دين الله ، وتحكيم شريعته في جميع شؤون الحياة ..

مما أفزع ذلك الطواغيت وأقلق راحتهم ، ومَن وراءهم قوى الاستكبار العالمية الحاقدة على الإسلام ، فكانوا أن جربوا مع المسلمين جميع أصناف الردع والتنكيل ؛ من قتل وسجن وتعذيب ، فما استكانوا ولا وهنوا وما زادهم ذلك إلا إصراراً وتصميماً على المضي في الطريق ، طريق الجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض .

بل كانت هذه السياط بمثابة المنبه الذي أيقظ الهمم وأحياها بعد نوم طويل طال رقاده ، وذل شنيع استمرأته النفوس، فأدرك طواغيت الكفر ذلك، وعلموا أن العنف لايولد إلا عنفاً وأن النار لاتولد الآ ناراً ، وهذا مايخافونه ويهربون منه أشد الهرب ..

إذاً لابُدَّ لهم من بديل يَامنون به على أنفسهم ويضمنون سلامة عروشهم

قبل أن تتهاوى عليهم فوجدوا الديمقراطية ـ أوما يسمى بالنظام الديمقراطي الحر ـ خير بديل يُميعون به قضية الإسلام وحقيقته في نفوس المسلمين وفي واقع حياتهم ، وبنفس الوقت يُحافظون به على عروشهم ومراكزهم ، ويُبقون على نظامهم العلماني الذي يُبعد الدين عن الدولة والتدخل في شئون الحياة ..

وبالفعل فقد راجت هذه اللعبة على الجميع ، حتى على بعض الخواص من المسلمين وأصبحت الديمقراطية ـ دين الغرب ـ هي شعارهم وانشودتهم ، وهي حديثهم وهمهم الوحيد ، وهي عندهم البديل الأمثل والنظام الوحيد الذي يجب أن تصبو إليه البشرية والإنسانية جمعاء .. !!

ففتنوا بالديمقراطية حتى سار حبها في دمائهم وعروقهم ـ فَضَلُّوا وأضلّوا ـ والويل كل الويل لمن ينكر عليهم حبهم للديمقراطية ، فسرعان ماينكرون عليه ويشيرون إليه بأصابع الاتهام والإجرام .. !!

وثَمَّةَ أمر مهم لابد من أن نشير إليه ، وهو أن المعسكر الشيوعي الإشتراكية ـ بحكم تخلفه ومحاربته للفطرة الإنسانية ـ قد سقط وانهار وأصبح تبعاً للنظام الرأسمالي الحر ، ولم يعد يشكل ـ من ناحية إيدلوجية وفكرية ـ خطراً على حركة الإسلام ومده ، ولم يبقَ في الساحة مايشكل تحدياً للإسلام سوى المعسكر الرأسمالي الذي يقوم على أساس النظام الديمقراطي الحر .

وخطر « الديمقراطية » يكمن في أنها انطلت وراجت على كثير من المسلمين حتى ظنوا أن الديمقراطية من الإسلام والإسلام من الديمقراطية ولا تعارض بينهما ، والعدو كيف يُواجَه خطره ويُرد كيده إذا نُظر إليه على أنه

صديق وهو منا ونحن منه ؟!. كذلك الموقف من الديمقراطية ودعاتها ، فهي بقيت في الساحة لالأنها قوية في ذاتها ونظامها بل لأنها لم تواجه الموقف الصحيح للإسلام منها .

حيث أن كثيراً من المسلمين لم يُظهروا موقف الإسلام الصحيح من الديمقراطية بل وجدنا من يدعو إلى الديمقراطية ويروج لها بين الناس ، ويكسوها ثوب الإسلام والشرعية .. !!

ـ الديمقراطية ـ كما سيتضح للقارئ ـ دين الطاغوت ، والإسلام دين الله عزّ وجلّ ، وأنّى يلتقيان ؟!..

ـ الديمقراطية حكم الشعب ، والإسلام حكم الله ..

﴿ واللهُ يحكمُ لامُعَقّبَ لحكمِهِ ﴾ [١] . ﴿ إنَّ اللهَ يحكُمُ مايريد ﴾ [٢].

ـ الديمقراطية تُؤله الإنسان ، والمعبود فيها هو الإنسان من دون الله عزّ وجلّ ، وفي الإسلام لامعبود بحق إلا الله .

ـ الديمقراطية تفصل الدين عن السياسة وجميع شئون الحياة ، والإسلام دين دولة وحكم منه تستمد جميع أنظمة الحياة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

فالمسلم ليس له أن يختار الديمقراطية ـ دين الطاغوت ـ بأي حال من الأحوال ، إلا في حال آثر الكفر على الإيمان ، وجهنم وعذابها على الجنة ونعيمها .

١ـ سورة الرعد : ٤١ .

٢ـ سورة المائدة : ١ .

« وَلَقَدْ بَعَثْنا في كلِّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا اللهَ واجتَنِبوا الطاغوتَ ».[1]

« فمَنْ يكفُرْ بالطاغوتِ ويؤمنْ باللهِ ، فقد استمسكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقىٰ ».[2]

ولا طاغوت يعبد في هذا الزمان ـ من دون الله ـ أشد من تقديس الناس وتعظيمهم للديمقراطية ، فالناس لها أشد تقديساً وتعظيماً من عبادتهم وتعظيمهم لله عزّ وجلّ !!

ولا طاغوت ـ في هذا الزمان ـ أشد فتنة على الناس في دينهم من الديمقراطية ..

لأجل ذلك رأينا من الواجب علينا ، ومن الأمانة ـ وإن أغاظ ذلك الديمقراطيين ـ أن نبين كلمة الإسلام الفصل وحكمه في الديمقراطية ، وفيمن يعتقد بها .

« ليهلّك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة »[3]

أسأل الله تعالى السداد والتوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

***

١ـ سورة النحل : ٣٦ .

٢ـ سورة البقرة ٢٥٦ .

٣ـ سورة الأنفال : ٤٢ .

ـ الديمقراطية :[1]

الديمقراطية Demo Cracy كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين «DemoS» الشعب ، و«Kratos» سلطة . ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب . وتطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيبا على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية ، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين[2]. وتتم عملية انتقاء القوانين والتشريعات بحسب اختيار الأكثرية لها من أعضاء مجلس النواب.[3]

والديمقراطية ظهرت في أوربا كنظام حاكم ـ إثر الثورة الفرنسية ـ نتيجة للظلم الكنسي والإرهاب الفكري والجسدي الذي مارسته الكنيسة ـ بمقتضى الحق الإلهي المقدس المزعوم ـ بحق الشعب ، وبخاصة منهم العلماء الذين خالفوا الكنيسة في كثير من المسائل العلمية .. فجاءت الديمقراطية ناقمة على كل شيء اسمه « دين » ، ووقفت الموقف المغالي والمغاير لموقف الكنيسة التي كانت تدعي أنها سلطان الله في الأرض ، وحقها على العباد هو حق الله ، وليس لأحد غيرها الحق في التكلم نيابة عن الله .. !!

١ـ كتاب « حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية » أخذت بعض فصوله من كتابي « دعاة وقضاة » .

٢ـ محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، ص ١٧٨ .

٣ـ المشرعون الحقيقيون في النظام الديمقراطي الحر ، هم أصحاب النفوذ ورؤوس الأموال بحكم مالهم من نفوذ واسع يمكنهم من دخول البرلمان أو إيصال من يريدونه أن يصل ، ومن ثم تأتي التشريعات لصالحهم من دون بقية فئات الشعب .

فكانت ـ الديمقراطية ـ أول من تبنى عمليا مبدأ « فصل الدين عن الدولة » والحكم والحياة ، وقالت : إن لله فقط الصلوات في زوايا المعابد والصوامع ، وما دون ذلك فيما يتعلق بجميع مرافق الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتشريعية فهي ليست من خصوصيات الله ، وهي لقيصر « الشعب » من دون الله ، فما لله لله ، وما للشعب للشعب وما يصل لله يصل للشعب ، وما يصل للشعب لايصل لله .. !! (فَقالوا هذا للهِ بِزَعْمِهِمْ وهذا لِشُركائِنا ، فما كان لشركائِهِمْ فلا يصِلُ إلى الله وماكان للهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شركائِهِمْ ، ساءَ مايَحكمون).[1]

كما أن الديمقراطية ـ كنظام ـ قد أعطت تفسيراً خاصاً بها عن الوجود وواجب الوجود والحياة ..

فمن قال : « لاإله والحياة مادة » . قالت له الديمقراطية : لاضير عليك ، لك أن تعتقد في الله ماتشاء مادمت ديمقراطياً . وهذه اسمها حرية الاعتقاد .. ! ومن اعتقد باله وخالق للوجود ، قالت له الديمقراطية : لك ذلك ، لكن ليس لك أن تكره الآخرين على اعتقادك أو تنكر عليهم اعتقادهم لوخالفوك في المعتقد ، فكل منكم له الحرية في أن يعتقد في الله مايشاء .. !!

ثم لايجوز لك إن كنت تؤمن بالله أن تجعل ماهو من صلاحيات الشعب لله .. فما لله لله وما للشعب للشعب ، والدين لله والوطن للجميع .

ومن أراد أن يقول مايشاء ، ولوكان قوله فيه سباً لله ولرسله ، فله ذلك

---

١ ـ سورة الأنعام : ١٣٦ .

وليس لأحد أن ينكر عليه ، وهذا اسمه حرية التعبير [1].. !!

ومن أراد أن يزني أو يشرب الخمر أو يفعل مايشاء ـ مالم يحظره القانون الوضعي ـ فله ذلك وليس لأحد أن ينكر عليه، وهذا اسمه الحرية الشخصية[2].. !!

ومن أراد أن يستغل أو يرابي أو يحتكر .. فله ذلك وليس لأحد في ظل الديمقراطية أن ينكر عليه ، وهذا اسمه الحرية الاقتصادية وحرية التملك والكسب .. !!

لذا تجد أن الديمقراطية ثوب يرتديه الجميع ـ لأنه يخول الجميع التفلت من كل قيد يقيد من نزواتهم وشهواتهم وأهوائهم ـ فمن كان شيوعيا ملحدا لايؤمن بالله يقول بالديمقراطية ، ومن يؤمن بوجود الله ـ لكنه علماني ـ يقول بالديمقراطية ، ومن كان وطنيا وقوميا يقول بالديمقراطية ، حتى أن كثيرا من خواص المسلمين وللأسف الشديد ـ يقولون بها ويطالبون بالتحاكم إلى النظام الديمقراطي الحر .. !!

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الذين من قبلكم ، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموهم »

---

١ ـ مثال ذلك ، عندما كتب الزنديق « سلمان رشدي » روايته المعروفة بآيات شيطانية التي تطاول فيها على الذات الالهية وكتبه ورسله ، ونال من جناب سيد الخلق محمد ﷺ. وعندما أنكر عليه المسلمون كفره وزندقته هذه ، قال الديمقراطيون في الغرب : حرية التعبير من الديمقراطية ، أياً كان هذا التعبير ، والنيل من « سلمان رشدي » هو نيل من الديمقراطية ذاتها ، والأنظمة التي تتبنى الديمقراطية .

٢ ـ بعض الأنظمة الديمقراطية الحرة في الغرب ، كبريطانيا والسويد وفرنسا وغيرها قد رخصت بانشاء جمعيات خاصة باللواطة والسحاق .. بدعوى أنها حرية شخصية .. !!

قلنا : يارسول الله آليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ »[1] . أي من يكون غيرهم إذا ؟

وفي رواية : « وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم »[2]. أي لوجد منكم من يفعل فعلتهم الشنعاء هذه .

ـ مبادىء وأسس الديمقراطية :

مهما حاول بعض دعاة الديمقراطية ـ الذين يعيشون بأجسادهم في بلاد المسلمين وبقلوبهم وعقولهم في بلاد الغرب والكفر ـ أن يكسو الديمقراطية بالثوب الوطني أو القومي أو الديني ـ فيحملونها من المعاني ما لاتحتمل ـ فإن للديمقراطية مبادئ وأسساً تقوم عليها وترافقها أينما حلت ، ومن دونها لاتسمّى الديمقراطية ـ في عرف المؤسسين لها ـ ديمقراطية .

ـ أبرز هذه المبادىء والأسس :

١ـ تقوم الديمقراطية على أساس أن الشعب هو مصدر السلطات ، بما في ذلك السلطة التشريعية ، ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشعب ينوبون عنهم في إصدار القوانين والتشريعات . وبعبارة اخرى ، المشرع في الديمقراطية هو الإنسان وليس الله .. !

٢ـ تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية الاعتقاد ، فللمرء أن يعتقد في ظل الديمقراطية مايشاء ، وإن كان هذا الإعتقاد مؤداه إلى الارتداد عن دين الله ، وإلى الإلحاد وعبادة غير الله عزّ وجلّ .. !

١ـ متفق عليه .

٢ـ رواه الدولابي ، والحاكم ، سلسة الأحاديث الصحيحة : « ١٣٤٨ » .

٣ـ تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التعبير والإفصاح ، أيّاً كان هذا التعبير ، وإن كان طعناً وسبّاً للذات الالهية وكتبه ورسله .

٤ـ تقوم الديمقراطية على مبدأ « فصل الدين عن الدوله » والحياة ، فما لله لله وهو فقط العبادة في الصوامع والزوايا ، وماسوى ذلك من مرافق الحياة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية .. فهي من خصوصيات الشعب (قيصر الديمقراطية) .

٥ـ تقوم الديمقراطية على مبدأ « الحرية الشخصية » الفردية . فللمرء في ظل الديمقراطية أن يفعل مايشاء ، ويمارس مايشاء .. مالم يتعارض ذلك مع القانون الوضعي للبلاد .

٦ـ تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية تشكيل التجمعات والأحزاب السياسية ، أيّاً كانت عقيدة وأفكار هذه الأحزاب .. !

٧ـ تقوم الديمقراطية على اعتبار موقف الأكثرية ، فالحق ـ دائما ـ في نظر الديمقراطية ماتجتمع عليه الأكثرية وإن اجتمعت على ضلال وباطل ، فالحكم الذي تقرره الأكثرية ـ أيّاً كان ـ لايصح في نظر الديمقراطية أن يُعقب عليه..!!

٨ـ في الديمقراطية كل شيء ـ مهما سمت قداسته ـ يجب أن يخضع للتصويت ، والاختيار يقع دائما على ماتجتمع عليه الأكثرية ، وإن كان المختار باطلاً .. !

هذه أهم وأبرز الأسس والمبادىء التي تقوم عليها الديمقراطية . فمن ينفي عنها شيئاً من هذه المبادىء والأسس ، لم تعد ديمقراطيته تسمى ـ عند الديمقراطيين ـ ديمقراطية ، وليبحث عن اسم آخر غير اسم الديمقراطية .

وفيما يلي مناقشة سريعة ـ من منظور إسلامي ـ لهذه المبادىء والأسس :

ـ مناقشة سريعة لمبادىء وأسس الديمقراطية :

١ـ قولهم أن الشعب صاحب السلطة التشريعية ، وأن المشرع هو الإنسان لاالله ، هو عين الكفر والشرك والضلال ، حيث أشركوا الإنسان مع الله سبحانه وتعالى في أخص خصائص ألوهيته ، الا وهو الحكم والتشريع .

قال تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله ، أمر أن لاتعبدوا إلا إيَّاه ﴾ .[١]

وقال : ﴿ ولا يُشرك في حكمه أحدا ﴾ .[٢]

وقال : ﴿ وماختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾.[٣]

وقال:﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[٤]

وقال:﴿قل أفغير الله أبتغي حكما ، وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾[٥]

وقال : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزَلَ اللهُ ولا تَتَّبعْ أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله اليك ﴾ .[٦]

وقال : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ .[٧]

وقال : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ .[٨]

جاء في الحديث ، عن عدي بن حاتم لما قدم على النبي ﷺ وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ . قال : فقلت له إنَّا لسنا نعبدهم . قال : « أليس يحرمون ماأحلَّ الله فتحرمونه ،

١ـ سورة يوسف : ٤٠ . ٢ـ سورة الكهف : ٢٦ . ٣ـ سورة الشورة : ١٠ .

٤ـ سورة المائدة : ٥٠ . ٥ـ سور الأنعام : ١١٨ . ٦ـ سورة المائدة ٤٩ .

٧ـ سورة الشورة : ٢١ . ٨ـ سورة التوبة : ٣١ .

ويحلون ماحرم الله فتحلونه » ؟ قال : فقلت بلى . قال : « فتلك عبادتهم » .

قال سيد قطب رحمه الله : إنَّ الناس في جميع الأنظمة الأرضية يتخذ بعضهم بعضا أرباباً من دون الله ، يقع في أرقى الديمقراطيات ، كما يقع في أحطّ الديكتاتوريات سواء ..

إنَّ أول خصائص الربوبية هو حق تعبد الناس ، حق إقامة النظم والمناهج والشرائع والقوانين والموازين ، وهذا الحق في جميع الأنظمة الأرضية يدعيه بعض الناس في صورة من الصور ، ويرجع الأمر فيه إلى مجموعة من الناس على أي وضع من الأوضاع ، وهذه المجموعة التي تخضع الآخرين لتشريعها وقيمها وموازينها وتصوراتها هي الأرباب الأرضية التي يتخذها بعض الناس أرباباً من دون الله ، وإن لم يسجدوا لها ويركعوا ، فالعبودية عبادة لايتوجه بها إلا لله .[1]

وقال : أظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية تعبيد العبيد ، والتشريع لهم في حياتهم وإقامة الموازين لهم ، فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا كله فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية وأقام لنفسه للناس إلها من دون الله ..

عندما يدعي عبد من العبيد أن له على الناس حق الطاعة لذاته ، وأن له فيهم حق التشريع لذاته وأن كذلك حق إقامة القيم والموازين لذاته ، فهذا هو ادعاء الألوهية ، ولو لم يقل كما قال فرعون : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ . والإقرار به هو الشرك بالله أو الكفر ، وهو الفساد في الأرض أقبح الفساد ..

فأيما بشر ادعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه فقد ادعى

١ـ الظلال : ١/ ٤٠٧ .

الألوهية اختصاصاً وعملاً ، وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية سواء سماها باسمها أم لم يسمها ..

إن الذي يملك حق التحريم والتحليل هو الله وحده . وليس ذلك لأحد من البشر ، لافرد ولا طبقة ولا أمة ولا الناس أجمعين ، إلاَّ بسلطان من الله وفق شريعة الله .[1]

٢ـ قولهم بحرية الاعتقاد ، وأن للمرء أن يعتقد مايشاء .. قول معلوم بطلانه وفساده من ديننا بالضرورة .

إذ أنَّ المسلم لو اعتقد بعقائد أهل الكفر والزندقة وارتد عن دينه ، لايجوز أن يقر على ذلك ويقال له أنت حر فيما تعتقد ..

بل حدّ المرتدّ عن دينه السيف ، فيستتاب فإن تاب وإلا قُدّم وقطع عنقه ، كما قال ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . صحيح البخاري .

وإذا كان اليهود والنصارى لايكرهون على ترك عقائدهم الكافرة ، وتُقبل منهم الجزية إلا أنه لايجوز أن تقر الانسانية جمعاء على عقيدة الإلحاد بواجب الوجود ، وأن لاإله في الوجود ، والحياة مادة ..

ومن كان كذلك لاتقبل منه الجزية ، ولا يقر على عقيدته ـ باسم حرية الاعتقاد ـ ولا يضرب له الأمان ، ويقاتل حتى يعود إلى رشده ويؤمن بالله ، وهذا مما لاأعلم فيه خلافاً لأهل العلم .

وفي الصحيحين ، قال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلاّ الله ، ويقيموا الصلاة » .

١ـ طريق الدعوة : ٢/ ١٧٠ و ١٧٩ .

وقال ﷺ : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله تعالى وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ».[1]

٣ ـ قولهم بحرية التعبير والإفصاح ، أيّاً كان هذا التعبير .. قول لايصح على اطلاقه ، حيث لاحرية في الإسلام إلا للكلمة الطيبة النافعة الهادفة المثمرة ، أمَّا الكلمة الخبيثة التي تفرّق ولا توحّد ، والتي تؤدي إلى فتنة ومضرة بالعباد ، يؤخذ صاحبها بالنواصي والأقدام .

قال تعالى : ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴾.[2]

وقال : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾.[3]

وقال : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة ﴾.[4]

روى ابن جرير بسنده عن عبدالله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ، ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ـ يقصد صحابة رسول الله ﷺ ـ أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ـ فقال رجل في المجلس : كذبت ،

١ـ رواه أحمد ، والطبراني ، وأبويعلى . صحيح الجامع الصغير : « ٢٨٣١ » .

٢ـ سورة النساء : ١٤٨ . ٣ـ سورة ابراهيم : ٢٤ ـ ٢٦. ٤ـ سورة التوبة : ٦٥ ـ ٦٦ .

ولكنك منافق لأخبرنَّ رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رايته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ ، تنكبه الحجارة ، وهو يقول يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » .

فانظر كيف أن هذا الرجل قال كلمة على وجه اللعب والمزاح ـ بحق الله وآياته ورسوله ـ قد أوبقت به في الكفر ، وخسر دنيا ه وآخرته .

قال القرطبي في تفسيره : قيل كانوا ثلاثة نفر ، هزىء اثنان وضحك واحد ، فالمعفو عنه هو الذي ضحك ولم يتكلم . قال خليفة بن خياط في تاريخه : اسمه « مخاشن بن حمير » وقيل انه كان مسلماً ، إلا أنه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم .[1]

وقال تعالى : ﴿ يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ، وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا » .[2]

وهذه آية نزلت في رجل من المنافقين قال كلمة وعبر عن رأيه الخبيث ـ كما تريد له الديمقراطية ـ عندما سمع رسول الله ﷺ يخطب : لئن كان صادقاً فنحن شر من الحمير ، فأتي به إلى الرسول ﷺ ، فحلف وأنكر أنه لم يقل شيئاً ، فنزل القرآن يكذبه ويكفره .[3]

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة

١ـ الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ١٩٩ . ٢ـ سورة التوبة : ٧٤

٣ـ انظر تفسير ابن كثير وغيره من كتب التفاسير المعتمدة .

لايرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفا في النار » .[1]

وقال : « إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها ، يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ».. متفق عليه .

وقال : « إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم »[2]. وفي رواية : « إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ماكان يظن أن تبلغ مابلغت ، يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه » .[3]

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ماأخوف ماتخاف علي ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : « هذا » .[4]

وقال ﷺ : «من وقاه الله شر مابين لحييه،وشر مابين فخذيه دخل الجنة»[5].

ومن حديث معاذ رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلاَّ حصائد ألسنتهم » .[6]

وقال ﷺ : « من قال في مؤمن ماليس فيه ، حُبس في ردغة الخبال ، حتى يأتي بالمخرج مما قال »[7] فما بالك فيمن يقول في الله ماليس فيه ؟ .

قال النووي رحمه الله : اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه

١ـ رواه الترمذي ، وابن ماجة ، صحيح سنن الترمذي : « ١٨٨٤ » . ٢ـ صحيح البخاري .

٣ـ رواه مالك في الموطأ، والترمذي وقال:حديث حسن صحيح،رياض الصالحين ، تحقيق الشيخ ناصر.

٤ـ ٦ـ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، رياض الصالحين .

٥ـ رواه الترمذي وقال حديث حسن ، رياض الصالحين .

٧ـ رواه أبوداود ، والحاكم ، وأحمد ، السلسلة الصحيحة : « ٤٣٧ » .

عن جميع الكلام إلاّ كلاماً ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصحلة ، فالسنة الامساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه ، وذلك كثير في العادة ، والسلامة لايعدلها شيء .[1]

وبعد : فعلم بالضرورة من ديننا فساد وبطلان قول « الديمقراطية » بحرية التعبير والا فصاح مطلقا من دون قيد أو شرط . والحمد لله الذي تتم بفضله ونعمته الصالحات .

٤ـ قولهم بـ « فصل الدين عن الدولة » والحكم والسياسة .. قول معلوم من ديننا بالضرورة بطلانه ،وفيه جحود صريح لما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ـ فهو أولاً جحود صريح لبعض الدين الذي نص على أن الإسلام دين دولة وحكم وتشريع ، وسياسة ..وهذا مما لاشك فيه أنه كفر بواح بدين الله تعالى .

كما قال الله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خِزْيٌ في الحياةِ الدنيا ، ويومَ القيامة يُردّون إلى أشدِّ العذاب ﴾ .[2]

وقال : ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ـ أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً أليماً ﴾ .[3]

ـ ثانيا ، مما يضطرهم ذلك أن يشرعوا ـ مالم يأذن به الله ـ في الجانب الذي جحدوه من الدين ، فيشركون أنفسهم مع الله في ألوهيته وحاكميته .

والله تعالى يقول : ﴿ ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ .[4]

١ـ رياض الصالحين ، ط المكتب الإسلامي ، ص ٤٨٣ .

٢ـ سورة البقرة : ٨٥ .   ٣ـ سورة النساء : ١٥٠ـ ١٥١ .   ٤ـ سورة الكهف : ٢٦ .

وقال : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ .[1]

ـ ثالثاً ، وهم بذلك ـ عندما فصلوا الدين عن الحكم والسياسة ـ يتحاكمون في الجانب الذي جحدوه من الدين إلى الشرائع والقوانين الوضعية ، التي هي في نظر الإسلام طاغوت يجب الكفر به .

كما قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ .[2]

فاعتبر الله سبحانه وتعالى إيمانهم زعما وادعاءً لاحقيقة له ، لمجرد إرادتهم التحاكم إلى شرائع الطاغوت .. !

٥ ـ قولهم بـ « الحرية الشخصية » على الإطلاق ، أي للمرء أن يفعل مايشاء ويمارس مايشاء ، مالم يحظره عليه القانون الوضعي ، قول معلوم بطلانه وفساده ، لما فيه من تحليل لما حرم الله على العباد ، وتحريم لما أحل ..

فالمرء في نظر الإسلام حريته مستمدة من الإسلام ، وهي مقيدة بقيوده ـ قال الله وقال الرسول ـ فليس للمسلم ـ إن أراد البقاء في دائرة الإسلام وأن يُسمَّى مسلماً ـ الحرية في أن يتجاوز حدود الإسلام وآدابه وتعاليمه ، ويرتكب مايشاء من المحظورات ، ثم يصبغ على تصرفه الشرعية والقانونية ، ويقول بعد كل ذلك أنه مسلم ، يتدين بدين الإسلام ، فالإسلام وهذا الشأن لايجتمعان أبدا ..

﴿ فلا وربِّك لايؤمنون حتى يُحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مّما قضيت ويسلّموا تسليماً ﴾ .[3]

---

١ ـ سورة الشورى : ٢١ . ٢ ـ سورة النساء : ٦٠ . ٣ ـ سورة النساء : ٦٥ .

٦ ـ قولهم بحرية الأحزاب السياسية ـ بغض النظر عن عقائد وأفكار هذه الأحزاب ـ قول معلوم بطلانه وفساده ، وذلك من وجهين :

أولاً ـ فيه إقرار صريح بشرعية الكفر وحريته في الحركة والإفساد بين العباد ، وهذا معلوم أنه مناقض لبدهيات الدين الإسلامي ، حيث أن أصل التعامل مع المنكر ـ وبخاصة إذا كان هذا المنكر مؤداه إلى الكفر والارتداد ـ محاربته وتغييره ، وليس إقراره أو الاعترف بشرعيته .

كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .[1]

وقوله ﷺ ، في صحيح مسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

أي ليس وراء إنكار القلب إيمان ، لأنه ليس وراء إنكار القلب سوى الرضى ، والرضى بالكفر كفر كما هو معلوم .

جاء ذلك واضحاً في حديث آخر في الصحيح أيضاً : « فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وفي حديث السفينة كما في صحيح البخاري وغيره : « فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[2].

وهذا مثل ضرب للمنكر وأهله ، فإن تركناهم ومايريدون من نشر لضلالاتهم ومنكرهم بين الناس هلكنا وهلكوا وهلك المجتمع ومن فيه من

---

١ ـ سورة الأنفال : ٣٩ .

٢ ـ إذا كان مجرد ترك المنكر من دون أن ننكر عليه ، فيه هلاك للأمة ، فما يكون القول لو اعترفنا ـ طوعاً ـ بشرعية المنكر وأهله ، وأعطيناهم الحرية ومايريدون .. ؟!

الناس ، وإن أخذنا على أيديهم ضرباً وزجراً ونهياً ، فقد نجونا ونجوا ونجا المجتمع ومن فيه .

ثانياً : إقرار مبدأ حرية تشكيل أحزاب سياسية .. فيه تشتيت لولاءات الأمة وانتماءاتها وفيه تفريق لكلمة المسلمين وإضعاف لشوكتهم ، وفيه استشراف لطلب الحكم والرياسة بطريقة غير شرعية .. وهذه أمور تتنافى مع ماهو معلوم من ديننا بالضرورة .(١)

قال تعالى :﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾ .(٢)

وقد صح عنه ﷺ ، أنه قال : « عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »(٣)

وأي فرقة للجماعة أشد فرقة من الأحزاب السياسية لو أعطيت لها الحرية ..؟!

وقال ﷺ : « يد الله مع الجماعة »(٤). والأحاديث في هذا الباب كثيرة وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

٧ ـ قولهم أن الحق هو ماتجتمع عليه الأكثرية .. قول لايصح على إطلاقه ، حيث أن الحق في نظر الإسلام هو مايوافق الكتاب والسنة قَلَّ أنصاره أو كثروا ، ومايخالف الكتاب والسنة فهو الباطل ولو اجتمعت عليه أهل الأرض قاطبة .

قال تعالى : ﴿ ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ .(٥)

١ـ سيأتي مزيد بيان عن موقف الإسلام من الأحزاب وحريتها ، إن شاء الله .

٢ـ سورة آل عمران : ١٠٣ .

٣ـ رواه الترمذي ، وابن ماجة ، صحيح سنن الترمذي : « ١٧٥٨ » .

٤ـ صحيح سنن الترمذي : « ١٧٦٠ » .

٥ـ سورة يوسف : ١٠٦

وقال : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلاّ الظن وإن هم إلاّ يخرصون ﴾ .[1]

فدلت الآية الكريمة أن طاعة أكثر أهل الأرض ضلال عن سبيل الله تعالى .

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « ماصُدِّق نبي من الأنبياء ماصُدِّقت ، إنّ من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلاّ رجل واحد »[2]

فإذا كانت الأكثرية هي دائما على حق ـ كما تقول الديمقراطية ـ فأين يكون موقع هذا النبي من الحق وما معه من أمته إلاّ رجل واحد .. ؟ !

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، لعمرو بن ميمون : جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة ، والجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك .

وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ .

قال ابن القيم ـ في أعلام الموقعين ـ : اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده ، وإن خالفه أهل الأرض .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ .[3]

يقول سيد قطب رحمه الله : إنَّ الإسلام يضع الكتاب الذي أنزله الله بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه..يضع الكتاب قاعدة للحياة البشرية .

١ـ سورة الأنعام : ١١٦ .

٢ـ رواه مسلم وغيره ، السلسلة الصحيحة : « ٣٩٧ »

٣ـ سورة البقرة : ٢١٣ .

ثم تمضي الحياة فإمَّا اتفقت مع هذه القاعدة وظلت قائمة عليها ، فهذا هو الحق .

وإما خرجت عنها وقامت على قواعد أخرى فهذا هو الباطل .. هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعا في فترة من فترات التاريخ ، فالناس ليسوا هم الحكم في الحق والباطل . وليس الذي يقرره الناس هو الحق ، وليس الذي يقرره الناس هو الدين ..

إنَّ نظره الإسلام تقوم ابتداء على أساس أن فعل الناس لشيء وقولهم لشيء وإقامة حياتهم على شيء ، لاتحيل هذا الشيءَ حقًّا إذا كان مخالفاً للكتاب ، ولا تجعله أصلاً من أصول الدين ، ولا تجعله التفسير الواقعي لهذا الدين ، ولا تبرره لأن أجيالاً متعاقبة قامت عليه .[1]

٨ ـ قولهم أن كل شيء ـ مهما سمت قداسته ـ يجب أن يخضع لعملية التصويت ، والاختيار يقع دائماً على ماتجتمع عليه الأكثرية ، وإن كان المختار باطلاً .. قول فاسد وباطل ومؤدّاه إلى الكفر بدين الله عزّ وجلّ .

لأنَّ شريعة الله تعالى ـ الحلال والحرام ـ لايجوز أن تخضع لعملية التصويت ـ الاختيار والقبول والرد ـ إلاَّ في حال آثر القوم أن يكونوا خارج دائرة الإسلام .

وعملية التصويت هذه ـ من يريد شريعة الله،ومن يريد شريعة الطاغوت ـ يترتب عليها مزالق عدة ، أهمها :

أولا ـ فيها ـ أي عملية التصويت ـ تسوية صريحة بين شريعة الله عز وجل وشريعة الطاغوت حيث كلتاهما ـ في نظر القوم ـ قابلتان أو خاضعتان لعملية

١ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن : ٢ / ٣٢ .

التصويت والاختيار .. وهذا مما لاشك فيه أنه كفر بواح بدين الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا اللهَ واجتَنِبوا الطاغوتَ ﴾ .[1]

وقال: ﴿فَمَنْ يكفُرْ بالطاغوتِ ويؤمنْ باللهِ،فقداستمسكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقىٰ﴾[2]

ثانياً ـ فيها تقديم بين يدي الله عز وجل ، وتعقيب على حكمه بحكم الانسان القاصر ..

والله تعالى يقول : ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾.[3]

وقال : ﴿ ماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ .[4]

ثالثاً ـ فيها دلالة صريحة على إمكانية رد حكم الله عز وجل ، لواختارت الأكثرية ذلك والله تعالى يقول : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .[5]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية : أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكدا بالنفي قبله ، عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ماشجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها ، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج ـ وهو ضيق الصدر ـ وتنشرح صدورهم لحكمه كل الإنشراح ، وتنفسح له كل الإنفساح ، وتقبله كل القبول ، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتى ينضاف

١ـ سورة النحل : ٣٦ .　　٢ـ سورة البقرة : ٢٥٦ .　　٣ـ سورة الحجرات : ١ .

٤ـ سورة الأحزاب : ٣٦ .　　٥ـ سورة النساء : ٦٥ .

إليه مقابله حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض »[1].

على ماتقدم من مناقشة سريعة لمبادئ وأسس الديمقراطية ، نقول : ظاهر بما لايدع مجالاً للشك أو الريب ، أن الديمقراطية فكرة كافرة تناقض التوحيد والإيمان ، لايجوز للمرء ـ مهما قيل من مبررات وتأويلات ـ أن يعتقد بها أو يتبناها أو ينادي بها ، أو يحتكم إليها أو يرضى بها نظاماً ، ومهما فعل ، ينتفي عنه الإسلام وإن ادعى الف مرة انه مسلم وأنه ينتمي لأبوين مسلمين ، فحاله هذا والإسلام لايجتمعان بحال »[2].



١ـ التبيان في أقسام القرآن : ص ٢٧٠ .

٢ـ حكم الكفر لاينطبق على الذي يقول بالديمقراطية جاهلاً للمعاني والأسس التي تقوم عليها ، حتى تقوم عليه الحجة والبينة ، لأن الديمقراطية من الأمور المستحدثة التي يعذر جاهلها إلى أن تقوم عليه الحجة .

وكذلك الذي يقول بالديمقراطية وهو لايريد المعاني والأسس الآنفة الذكر ، وإنما يريد بها الشورى أو حرية التعبير والإفصاح عن الكلمة البناءة ، أو رفع القيود والرقابة التي تمنع الناس من ممارسة حقوقهم الأساسية في الحياة ، وغير ذلك من التأويلات والتفسيرات التي لاتحتملها الديمقراطية أساساً .

من كان كذلك ـ رغم خطئه ـ لايكفر ، ولا يجوز أن يُكفَّر .. فافهم ذلك وانتبه له .

- كلام لمحمد قطب في الديمقراطية :

يقول الأستاذ محمد قطب بعد أن ناقش الديمقراطية مبيناً حقيقتها : هذا هو الإسلام وهذه هي الديمقراطية في نظر الإسلام .. ومن ثم فلا سبيل إلى مزج الإسلام بالديمقراطية ، ولا سبيل إلى القول بأن الإسلام نظام ديمقراطي ، أو أنه يتقبل النظام الديمقراطي أو يسايره ، لمجرد وجود شبه عارض في بعض النقاط .

إن هذا الالتقاء العارض بين الديمقراطية والإسلام في الحقوق والضمانات ، وفي مبدأ الشورى لايجوز أن ينسينا حقيقتين مهمتين :

الحقيقة الأولى : أنه لاينبغي لنا - من الوجهة العقيدية - أن نقرن النظام الرباني إلى نظام جاهلي ، فضلاً عن أن نحاول سند النظام الرباني بنسبته إلى النظام الجاهلي ، أو نتصور أننا نمتدح النظام الرباني بأن نقول أنه يحمل نقط التقاء مع النظام الجاهلي ! إنها الهزيمة الداخلية تندس إلى أفهامنا دون أن نحس ، وتجعلنا نعتقد أن النظام الرباني في حاجة إلى دفاعنا نحن عنه وتبريره ، كما تجعلنا نعتقد أننا نمتدح النظام الرباني بأن نقول للناس إنه يحتوي على الفضائل التي تحتوي عليها النظم السائدة اليوم !

إنها الهزيمة التي أصابت المسلمين في مواجهة الغرب الظافر المتغلب ، الذي غلب على بلاد الإسلام ، وما كانت لتوجد في نفوسنا لو أننا واثقون في أنفسنا مستعلون بالإيمان كما وجهنا الله :

﴿ ولا تَهِنوا ولا تحزَنوا وأنتم الأعْلَوْنَ إنْ كنتم مؤمنين ﴾ .

والحقيقة الثانية : أن هذا الشبه العارض في بعض النقاط لايجوز أن ينسينا

الفارق الضخم في القاعدة . إن القاعدة التي يقوم عليها الإسلام تختلف اختلافاً جذرياً عن القاعدة التي تقوم عليها الديمقراطية .

في الإسلام يُعبَدُ اللهُ وحدَه دون شريك ، وتحكم شريعة الله عنواناً على التوحيد وتحقيقاً له في عالم الواقع . وفي الديمقراطية يعبد غير الله ، وتحكم شرائع البشر عنواناً على عبادة غير الله وتوكيداً لها في عالم الواقع .

وفي الإسلام يُزكى الإنسان ليحتفظ بإنسانيته في أحسن تقويم ، وفي الديمقراطية ينكس الإنسان فيهبط أسفل سافلين .

تلك فروق جوهرية في القاعدة ، فما قيمة اللقاء العارض في بعض النقاط أياً كانت القيمة لذاتية لتلك النقاط ؟!

وفي العالم الإسلامي كتَّاب ومفكرون ودعاة مخلصون[1] مخدوعون في الديمقراطية .

يقولون : نأخذ مافيها من خير ونترك مافيها من شرور . يقولون : نقيدها بما أنزل الله ولا نبيح الالحاد ولا نبيح التحلل الخلقي والفوضى الجنسية !

إنها إذاً لن تكون الديمقراطية .. إنَّما ستكون الإسلام !

إنَّ الديمقراطية هي حكم الشعب بواسطة الشعب . إنَّها تولي الشعب سلطة التشريع . فإذا ألغي هذا الأمر أو قيد فلن تكون هي الديمقراطية التي تقوم بهذا الاسم .

واسألوا الديمقراطيين ، قولوا لهم : نريد أن نحكم بما أنزل الله ، ولا يكون للشعب ولا ممثليه حق وضع القوانين إلا فيما ليس فيه نص من كتاب أو سنة

١ـ نحسبهم كذلك ، ولا نزكي على الله أحداً .

ولا إجماع من علماء المسلمين ! قولوا لهم : نريد أن ننفذ حكم الله في المرتد عن دينه ، وحكم الله في الزني والسارق وشارب الخمر ..

قولوا لهم : نريد أن نُلزم المرأة بالحجاب ، ونمنع التبرج ، ونمنع العري على الشواطئ وفي الطرقات ونريد في الوقت ذاته أن نكون ديمقراطيين !

اسألوهم وانظروا ماذا يقولون ، سيقولون على الفور : إن هذه ليست الديمقراطية التي نعرفها ففي الديمقراطية يشرع الناس في جميع الأمور لايلتزمون في شيء منها بغير مايريده الشعب .

(نظرياً على الأقل ، وإن كانت الحقيقة كما أسلفنا أن الرأسماليين هم الذين يشرعون من وراء ستار !)

سيقولون إن الديمقراطية لاتتدخل في « الحرية الشخصية » للأفراد ، فمن شاء أن يرتد عن دينه فهو حر ! ومن شاء أن يتخذ صديقة أو خليلة فهو حر ! ومن شاءت أن تخون زوجها فهي حرة مالم يشتك الزوج !

سيقولون ابحثوا عن اسم آخر لما تريدون .. اسم غير الديمقراطية !

فإذا كان كذلك فلماذا نصر نحن على تسمية نظامنا الذي نريده باسم الديمقراطية ؟ ! لماذا لانسميه الإسلام ؟ !

ولست أقول إن النظم الطغيانية التي حلت محل تلك الديمقراطيات المزيفة هي خير منها ، كلا ! وألف مرة كلا ! فالطغيان الذي يعتقل عشرات الألوف ويعذبهم أبشع تعذيب عرفته البشرية ويقتل منهم من يقتل في محاكمات صورية أو داخل الأسوار بالتعذيب هو شر خالص لاخير فيه .

ولكن أقول فقط إنَّ البديل ليس هو الديمقراطية .. إنَّما هو الإسلام !

ومن كان يرى أن مشوار الإسلام مشوار طويل ، وأن مشوار الديمقراطية أقصر منه وأيسر ، فنحن نقول له : إنَّ الديمقراطية ذاتها في سبيلها إلى الإنهيار ، بما تحمل في طياتها من عِوَج وانحراف قائم في أصل النظام .

وسيبقى الإسلام .. سيبقى لأنه دين الحق .. ولأن الله تكفل بحفظه .. ولأنه هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذ البشرية كلها من ظلالها البعيد الذي لجت فيه[1] . ا . هـ

ـ حكم الشعب ليس حكم الله ، وإن حكم بالإسلام :

إن حكم الشعب ـ وإن أصاب الحق ـ لايصح أن يسمى حكماً إسلامياً ، وذلك أنَّ أي حكم في ظل اللعبة الديمقراطية ، لاقيمة له ولا يعتبر نافذا إلاّ بعد أن يخضع لعملية التصويت وتقرّه الأكثرية من ممثلي الشعب ، فإذا ماحكم بالإسلام ـ في ظل الديمقراطية ـ يحكم به لأن الأكثرية صوتت له وأرادت ذلك ، وليس لأن الله أمرهم بالتحاكم إلى شريعته وأراد لهم ذلك ، فهم في الحقيقة امتثلوا لأرادة الأكثرية وليس لإرادة الله عز وجل .

وما كان كذلك لايصح أن يسمى حكماً إسلامياً ، وذلك لسببين :

أولاً ، أن الاقرار والرضى بمبدأ : لاحكم إلا للشعب ، أو الحكم ماتختاره الأكثرية ، فيه اشراك صريح مع الله تعالى ، حيث أشركوا إرادة الشعب وحكمه مع إرادة الله تعالى وحكمه ـ وإن كان اختيارهم هو الإسلام ـ فهم في الحقيقة أطاعوا وامتثلوا لإرادة الشعب ورغبته ، وليس لإرادة الله وحكمه ، والدليل على ذلك أن الأكثرية لو قالت : نريد أن نحكم بالإسلام ، يُحكم

---

١ ـ مذاهب فكرية معاصرة ، فصل الديمقراطية .

لهم بالإسلام ، وغدا اذا غيرت الأكثرية رأيها ـ بفعل الدعاية المضادة التي تكفل الديمقراطية لها الحرية ـ وقالوا : لا للإسلام ، ولا لحكم الله .. لا يحكم لهم بالإسلام !! فواضح أن التقديس والطاعة والاتباع للأكثرية ولرغبة الأكثرية ، وليس لله سبحانه وتعالى[1] ، وحكم كهذا أنى له أن يسمى حكماً إسلامياً ؟!

ثانياً : إنَّ عملية التحاكم بذاتها ـ في نظر الإسلام ـ عبادة من المتحاكم إلى المتحاكم إليه ، فمن صرف التحاكم لله وحده ابتغاء مرضاته فهو عبد لله ، ومن صرف التحاكم لغير الله أو أشرك مع الله أحداً ، فهو عبد لغير الله ، كما قال تعالى : ﴿ إِنِ الحكمُ إلاَّ للهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ ألَمْ أعهدْ إليكم يابني آدمَ أن لاتعبدوا الشيطان إنَّه لكم عدوٌ مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾.[3]

وعبادة الشيطان تكون بطاعته وامتثال حكمه ، وكل حكم غير حكم الله عز وجل هو حكم الشيطان والطاغوت .

وقال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾.[4]

وحتى تتحقق العبادة ـ من عملية التحاكم ـ المخلصة الصادقة لله تعالى ، لابد للمسلم من أن يرد امتثاله لشرع الله ارضاء لله تعالى وإذعاناً منه لله بحق

١ـ بعض المشايخ المعجبين بالديمقراطية ، يقولون : « نحن نحترم ونقدس اختيار الشعب أياً كان اختياره ، ولو اختار الكفر والإلحاد ورفض الإسلام !! ونحن لشهرة هؤلاء المشايخ واتساع صيتهم ـ وحتى لا ننهم خطأ ـ نتوقف عن ذكر أسمائهم .. !!

٢ـ سورة يوسف : ٤٠ .　　٣ـ سورة يس : ٦٠ ـ ٦١ .　　٤ـ سورة الكهف : ١١٠ .

الحاكمية دون أحد سواه ، فهو ينفذ حكم الله لأنه أمر الله وارادته ، وليس لأن الشعب وقع خياره على حكم الله ، ومتى كان الأمر على غير هذا النحو ، لايصح أن يسمى النظام او الحكم حكماً إسلامياً .

يقول سيد قطب رحمه الله : هذه الحتمية ، حتمية هذا التلازم بين دين الله والحكم بما أنزل الله ، لاتنشأ فحسب من أن ماأنزل الله خير مما يضع البشر لأنفسهم من مناهج وشرائع وانظمة وأوضاع . فهذا سبب واحد من أسباب هذه الحتمية ، وليس هو السبب الأول ولا الرئيسي إنما السبب الأول والرئيسي ، والقاعدة الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي أن الحكم بما أنزل الله اقرار بألوهية الله ، ونفي لهذه الأولوهية وخصائصها عمن عداه ..

وهذا هو الإسلام بمعناه اللغوي « الاستسلام » وبمعناه الاصطلاحي هي كما جاءت به الأديان الإسلام لله ، والتجرد عن ادعاء الألوهية معه ، وادعاء أخص خصائص الأولهية ، وهي السلطان والحاكمية ، وحق تطويع العباد وتعبيدهم بالشريعة والقانون .

ولا يكفى إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله ، أو حتى شريعة الله نفسها بنصها ، إذا هم نسبوها لأنفسهم ، ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها لله ، ولم يطبقوها باسم الله ، اذعاناً لسلطانه واعترافاً بألوهيته وبتفرده بهذه الألوهية . التفرد الذي يحرر العبد من حق السلطان والحاكمية ، إلاّ تطبيقاً لشريعة الله وتقريراً لسلطانه في الأرض .[1]

١ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن : ٢ / ١٨٨ـ ١٨٩ .

ـ استخدام الديمقراطية كمصطلح :

يقول البعض : نحن إذْ نستخدم كلمة الديمقراطية ، نريد بها ديمقراطية الإسلام ، أو الشورى .. ونريد منها الجانب الخير ولا نقصد معناها المغاير للإسلام .. !!

ولهؤلاء نقول : قد حملتم ـ بزعمكم هذا ـ الديمقراطية مالاتحتمل ، وضللتم وأضللتم من وراءكم من العباد ولبستم عليهم الحق بالباطل عندما نسبتم الديمقراطية إلى الإسلام وألبستموها لباس الشورى .. !!

فالإسلام دين الله .. والديمقراطية دين الطاغوت .. وأنّى يكون بينهما لقاء أو تشابه .

وعلى فرض وجود تشابه عارض في بعض النقاط أو الجزئيات ، نقول :

لايجوز شرعاً استخدام شارات الكفر ومصطلحاته ـ وبخاصة إذا كان الإسلام قد أوجد البديل المناسب عنها ـ للتعبير عن الإسلام أو للتدليل على معانيه .

فالإسلام قد نهى عن استخدام بعض الكلمات والمصطلحات ـ لحصول الشبهة ـ علماً أن ظاهرها لايعني إلا الخير ، حتى لايستغلها أصحاب الأهواء لمآربهم الباطنية الخبيثة ، فيطلقونها على شيء ويريدون بها شيئاً آخر .

مثال ذلك كلمة « راعنا » حيث كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يقولون للنبي ﷺ : « راعنا » على قصد الطلب وسؤال المراعاة ، أي التفت إلينا وتولّنا ، وكانت هذه الكلمة عند اليهود ـ لعنهم الله ـ مسبة وطعناً ، حيث تعني الأرعن من الرعونة والخسة فاغتنموها فرصة للنيل من جناب الرسول

ﷺ ، وقالوا : كنا نسبه سِرّاً فالآن نسبه جَهراً ، فكانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويضحكون فيما بينهم ، فنهى الله تعالى المؤمنين عن استخدام كلمة « راعنا » حتى لا يستغلها اليهود فيستخدمونها لمقصدهم الفاسد والباطل ، وأمرهم أن يقولوا بدلاً عنها كلمة « انظرنا » حيث لايمكن استخدام هذه الكلمة إلا في جانب الخير .

كما قال تعالى:﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾ [1]
وقال : ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلاّ قليلاً ﴾ [2]

وقال تعالى أيضاً عن اليهود ـ حاكياً حالهم كيف يتلاعبون في المصطلحات ، ويصرفونها إلى غير مقاصدها الصحيحة ، وكيف أنهم يبدلون الكلم عن مواضعه ـ في سورة البقرة :

﴿ وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطة ، نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [3]

فقوله تعالى ﴿ وقولوا حطة ﴾ أي قولوا احطط عنا خطايانا ، واستغفروا الله . فقالوا بدلاً من ذلك : « حنطة » في شعيرة ، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح : « قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولا حطة ، فبدلوا

١ـ سورة البقرة : ١٠٤ .　　٢ـ سورة النساء : ٤٦ .　　٣ـ سورة البقرة ٥٨ـ ٥٩ .

فدخلوا يزحفون على أستاهم ، وقالوا : حبة في شعيرة » .

وعن عبدالله ابن مسعود : « وقولوا حطة » ، فقالوا : حنطة ، حبة حمرواء فيها شعيرة .[1]

ومن ذلكأيضاً قوله ﷺ : « لاتقولوا الكرم ، ولكن قولوا العنب » .

وقال : « ولا يقولن أحدكم للعنب الكرم ، فإن الكرم الرجل المسلم » .

وقال : « لايقل أحدكم : أطعم ربك ، وضّيء ربك ، واسق ربك ، ولا يقل أحد : ربي ـ أي لمولاه ـ وليقل سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي » .

وقال : « لاتغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ، فانّما هي العشاء ، وإنما يقولون : العتمة لاعتامهم بالابل » .[2]

شاهدنا من هذه الأحاديث الصحيحة ، أن الشارع قد نهى المسلمين عن استخدام كلمات وأسماء قد تستغل من قبل أصحاب النفوس المريضة لمقاصدهم السيئة ، ودرءاً لحصول ذلك استبدلها بكلمات وأسماء لالبس فيها ولا إشكال ، بحيث لايمكن لأحد أن يستغلها لمقصد فاسداً أويصرفها لمعنى لايقره الإسلام ولا يرضا .

وإذا كان الأمر كذلك مع كلمة : الكرم ، وعبدي ، وأمتي ، وربي .. فمن باب أولى أن يكون النهي عن استخدام كلمات ومصطلحات شرها أكثر من خيرها ،وهي اسم لمسمى جاهلي لايرضاه اللهولا رسوله،ككلمة : الديمقراطية ، والاشتراكية ، والقومية ، والوطنية ..

والاشتراكية ، والقومية ، والوطنية ..

ومن جهة أخرى ، فالمسلم متميز ـ بفكره وسلوكه ولغته ـ عن كل مايمت إلى الجاهلية بصلة ، مستعل عليها بإيمانه وإسلامه ، كما أنَّ الشارع الحكيم لايرضى بحال للمسلم أن يستعين بشيء من شارات وقيم وموازين الجاهلية ، وبخاصة إذا كانت هذه الشارات والقيم تتعارض مع صريح الدين وما هو معلوم منه بالضرورة ، كالديمقراطية .

وكما أسلفنا من قبل أن الديمقراطية كلمة يونانية لاأصل لها في العربية ، وهي من رطانة العجم التي نهينا عن التحدث بها لغير ضرورة ملزمة .

فقد صح عن عمر رضي الله عنه ، أنه قال : « إيَّاكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم » .

وقال : « ماتكلم الرجل الفارسية إلا خَبَّ ، ولا خبّ ،[1] إلا نقصت مروءته» .[2]

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، أنه سمع قوماً يتكلمون بالفارسية فقال : مابال المجوسية بعد الحنيفية » .[2]

وذكر ابن تيمية في « الاقتضاء » حديثا عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإن يورث النفاق » .

قال ابن تيمية في « الاقتضاء » فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ،

١ـ أي صار خداعا .

٢ـ عن كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية .

واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون ، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكر ، أن يُدعى الله أو يُذكر بغير العربية .

وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله .. فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم .واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل ، والخلق ، والدين تأثيراً قوياً بينا ، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق . اـ هـ

لأجل هذه الأسباب ـ وواحد منها يكفي ـ الآنفة الذكر ، نقول : لايجوز للمسلم شرعاً أن يستخدم كلمة « الديمقراطية » في حد يثه بصيغة المدح ، أو الاستشهاد بها على معنى من معاني الدين .. لما في ذلك من تمويه وتضليل للعباد وانحراف عن الصواب ، والله تعالى أعلم .

ـ الكلمة العربية المرادفة لكلمة الديمقراطية :

لوأردنا أن نبحث عن الكلمة العربية المرادفة ، التي تعطي المعنى الحقيقي لمضومون كلمة « الديمقراطية » ، لوجدناها تعني « الإباحيّة » بمفهومها ومعناها الشامل .[1]

حيث أن الإباحية ، تقوم على أساس إباحة المحظورات التي حظرها

١ـ المباح ، خلاف المحظور . وأبحتك الشيء أي أحللته لك ، والإباحية من إباحة المحظورات وفي التاريخ الإسلامي عرفت فرق « بالإباحية » ، حيث أباحوا لأنفسهم ولأتباعهم المحظورات والفواحش التي حظرها الدين ، كالقرامطة وفرق الباطنية الغلاة ..

ان الإباحية ، تقوم على أساس إباحة المحظورات التي حظرها الشارع على العباد ، كإباحة العري والزنا ، واللواطة ، وشرب الخمر ، ونكاح البنات .. وإباحة الارتداد عن الدين ، والحكم بغير ماأنزل الله ، وكل ماهو محظور في الدين .

وكذلك الديمقراطية ـ فهي لاتختلف عن الاباحية في شيء ـ تقوم على أساس إباحة كل ماهو محظور على الفرد ـ فالمرء في ظل الديمقراطية يعتقد مايشاء ، ويفعل مايشاء ، ويمارس مايشاء ، ويقول مايشاء ، ويحكم بما يشاء .. !!

ولا يوجد شيء في نظر الديمقراطية اسمه لايجوز ، أو غير مباح ، أو حرام ، أو ممنوع إلا ـ اللهم ـ ماجتمعت على منعه وتحريمه القوانين الوضعية التي هي من صنع الإنسان نفسه !

وعليه نقول:الديمقراطية هي الإباحية بعينها ، والإباحية هي الديمقراطية ، والديمقراطيون هم الإباحيون ، والعكس أيضاً لافرق [١]

وما أشد أولئك ظلماً ، الذين يقولون ـ زوراً على الحق ـ : الديمقراطية تعني الشورى في الإسلام .. !!

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا ﴾ [٢]

١ـ قولنا أن الديمقراطية تعني الإباحية ، لاتعارض بينه وبين القول بأن الديمقراطية تعني « حكم الشعب » ، لأن حكم الشعب هو نفسه اعتداء على حكم الله ، وإباحة للحكم بغير ماأنزل الله ، ومن يبيح الحكم بغير ماأنزل الله يستلزم منه أن يبيح ماحرم الله .. لكن القول بأن الديمقراطية تعني في العربية « الإباحية » فيه انصاف للديمقراطية أكثر مما لو قلنا أنها تعني « حكم الشعب » .

٢ـ سورة الكهف : ٥ .

ـ موقف الإسلام من الأحزاب :

من أسس ومبادئ النظام الديمقراطي الحر ـ كما أسلفنا من قبل ـ حرية تعدد الأحزاب السياسية في المجتمع الواحد ، بغض النظر عن عقيدة ومبادئ هذه الأحزاب !

ولمعرفة موقف الإسلام ـ على وجه الدقة ـ من تعددية الأحزاب السياسية وحرية تشكيلها ، لابد لنا من أن نفرق بين الأحزاب العلمانية الكافرة ـ التي تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة ، ومحاربة الدين ـ وبين الأحزاب الإسلامية التي تقوم على أساس عقيدة الإسلام والعمل لها .

كما يجب أن نفرق بين النظام التي تقوم في ظله هذه الأحزاب الإسلامية ، هل هو نظام جاهلي علماني معاد للدين ، أم أنه نظام إسلامي يحكم الشريعة الإسلامية في جميع شؤون الحياة ؟

هذا التفريق لابد منه لمن يريد أن يتحرى الصواب والدقة في معرفة موقف الإسلام من الأحزاب وحرية تعددها .

ـ موقف الإسلام من الأحزاب العلمانية :

لايجوز شرعاً ـ تحت أي ظرف كان ـ الإقرار أو الاعترف بشرعية الأحزاب العلمانية الكافرة ، وبحقها في الوجود والحكم لو اختارتها الأكثرية من الناس ، وذلك لأوجه أهمها :

أولاً ، إن أصل التعامل مع المنكر والكفر ـ كما جاءت بذلك النصوص ـ إنكاره ومحاربته وليس الاعترف بشرعيته وحقه في الحركة والوجود والحكم .. !

قال الله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين كله لله﴾ .[1]

أي حتى لاتكون السيادة للشرك وأهله فتهلك العباد والبلاد .

وقال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .[2]

وقال تعالى في صفات المؤمنين : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ .[3]

أين أولئك القوم ـ من هذه الآية الكريمة ـ الذين يعطون العهود والمواثيق لمن حاد الله ورسوله بأن يشكلوا أحزاباً وأن ينشطوا لأفكارهم ومبادئهم الكافرة الهدامة بين الناس ، لو قدر الله لهم بحكم البلاد ؟ !

وقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .[4]

فهم خير أمة .. لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وليس لأنهم يأمرون بالمنكر ويعترفون ـ طوعاً ـ بشرعيته وحريته .. !

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » [5]

وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم » .[6]

١ـ سورة الأنفال : ٣٩ .
٢ـ سورة آل عمران : ١٠٤ .
٣ـ سورة الحج : ٤١ .
٤ـ سورة آل عمران : ١١٠ .
٥ـ صحيح مسلم .
٦ـ صحيح سنن الترمذي : « ١٧٦٢ » .

وقال : « إن الناس إذا رأوا المنكر ، ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » .[1]

وفي صحيح البخاري وغيره ، قال أبوبكر رضي الله عنه في مانعي الزكاة : «والله لومنعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ ، لقاتلتهم على منعها» .

قال ابن تيمية رحمه الله : فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، أنه يقاتل من خرج عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين ..

فكل طائفة ممتنعة عن التزام شرعية من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها ، حتى يكون الدين كله لله ، باتفاق العلماء .[2]

قلت : إذا كان اتفاق العلماء وإجماع الأمة على وجوب قتال الطائفة التي تمتنع عن التزام أمر واحد معلوم من الدين بالضرورة ، فما يكون الموقف من هذه الطائفة لو أظهرت الكفر البواح بدين الله ، ونادت به على الملأ ، وأعلنت كفرها للعباد من دون حياء ، وطالبت الأمة ـ بنبذ حكم الله ـ وبالتحاكم إلى شرائع الطاغوت ؟ ! كما هو شأن الأحزاب العلمانية الكافرة اليوم .

لاشك أن الموقف منها لايختلف عن موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسيلمة الكذاب وحزبه ، ولا يشك في ذلك مسلم عرف الإسلام وحقيقة هذه الأحزاب العلمانية .

ثانياً : الاعتراف ـ طوعاً من غير إكراه ـ بشرعية المنكر والكفر ، إمارة صريحة تدل على الرضى بهذا المنكر والكفر ـ وإن لم يصرح بذلك بفيه ـ

١ـ رواه أحمد وغيره ، صحيح الجامع الصغير : « ١٩٧٤ » .

٢ـ الفتاوى : ٢٨ / ٣٠٨ـ ٣٥٧ .

والرضى بالكفر كفر .

كما قال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنَّكم إذاً مثلهم ، إنَّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ .[1]

فهم مثلهم ـ وأن لم يستهزأوا مثلهم ـ لأن جلوسهم معهم طوعاً من غير إكراه أو إنكار إمارة صريحة على الرضى بفعلهم ، فكان حكمهم كفارا كحكم المستهزئين بدين الله .

قال الشيخ سليمان حفيد المجاهد محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله : إنَّ معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ، ولا إنكار ، ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم ، وإن لم يفعل فعلهم لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر . ا هـ .

وفي صحيح مسلم : « مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاَّ كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

ينتفي الإيمان لأنه ليس وراء إنكار القلب سوى الإقرار والرضى ،

١ـ سورة النساء : ١٤٠ .

والإقرار والرضى بالمنكروالكفر ينفي الإيمان مطلقاً من القلب [1].

وقال ﷺ : « إذا عملت الخطيئة في الأرض ، كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها ، كان كمن شهدها » .[2]

قال ابن تيمية رحمه الله : فأما في القلب فيجب ـ أي انكار المنكر ـ بكل حال ، إذ لاضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن .[3]

ويقول سيد قطب رحمه الله : مجرد الاعتراف بشرعية منهج أو وضع أو حكم من صنع غير الله هو بذاته خروج من دائرة الإسلام لله ، فالإسلام لله هو توحيد الدينونه له دون سواه .[4]

ولعل قائلاً يقول:إعطاء الحرية للأحزاب العلمانية في أن تنشط بين الناس ، والاعتراف بشرعيتها ، وأن تحكم البلاد لو اختارها الشعب.. ليس رضى بها !!

١ـ يجب التفريق بين فعل المنكر من غير رضى ، وبين الرضى بالمنكر حيث أن فعل المنكر الذي هو دون الكفر والشرك ، يعتبر معصية ، وصاحبه ـ إن فعله عن هوى وضعف من غير رضى أو استحلال ـ يعتبر عاصياً ، وإن مات ـ من دون أن يتوب ـ يترك إلى مشيئة الله تعالى ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، وهو ممن تنالهم شفاعة الشافعين بعد أن ينال قسطه من العذاب كما قال تعالى : ﴿ إنَّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ .

أما من رضي بالمنكر ـ وإن لم يفعله ـ يكفر ، لأنه رضي ماكره الله ، وأحل ماحرم الله أما إ ن كان المنكر كفرا بواحاً ينقض التوحيد والإيمان ، يستوي فاعله تطوعاً من غير اكراه ـ وان ادعى بلسانه أنه لايرضاه ـ ومن يفعله ويصرح بفيه أنه يرضاه .

قال تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ .

فلم يعذر الله سبحانه وتعالى إلا المكره .. والمسألة قد فصلنا فيها بما فيه الكفاية في كتابنا « دعاة وقضاة » .

٢ـ رواه أبو داود ، صحيح الجامع الصغير : « ٦٨٩ » .

٣ـ الفتاوى : ٢٨ / ١٢٧ .

٤ـ طريق الدعوة : ٢ / ٥٢ .

فيقال له : إذا ماالذي دعاك أن تعترف وتقر - طوعاً من غير اكراه - بحرية هذه الأحزاب وشرعيتها ووجودها .. ؟ ! حتى يقال عنك انسان متحرر فكرياً ومتفتح سياسياً ؟ ! وأنك غير متعصب ومتشدد ؟ ! أم أنه حتى تنال الرضى والقبول عند الكفار والمجرمين .. ولن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم ؟! أم أنها شهوة الحكم وحب الرياسة ، هي التي دعتك لذلك .. ؟!

أتظن هذه الدعاوى مبررات تبرر لك فعل الكفر وأن تقره وترضاه ؟!

﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ .[1]

ثم نقول له : ألست تعترف وتقر وتتبنى النظام الديمقراطي الحر .. الذي من أصوله ومبادئه الاعتراف بشرعية الأحزاب العلمانية الكافرة .. ؟ !

وإذا لم يكن هذا هو عين الرضى ، فما يكون .. ؟ !

ثالثاً : أن تُعطى الحرية للأحزاب العلمانية الكافرة ، أو يعترف بشرعيتها .. من شأنه أن يؤدي ذلك إلى فتنة العباد عن دين الله وصدهم عنه ، وإظهار للفساد في البر والبحر ، ويكون في ذلك هلاك للبلاد والعباد بما قدمت أيدي الأحزاب .

لذلك قال تعالى :﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين كله لله﴾ .[2]

فأمر سبحانه وتعالى بقتالهم حتى لاتكون فتنة (شرك) ، أي حتى لايسود الشرك ، ويظهر أهله على أهل الإيمان ، فيفتن العباد عن دينهم فيهلكوا .

١ـ سورة النحل : ١٠٦ـ ١٠٧ .   ٢ـ سورة الأنفال : ٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [1]. أي أن الشرك أشد شراً وخطراً وهو أعظم عند الله من القتل والقتال ، ومن أن تشرع السيوف بوجه الأعداء من الكفار والمشركين .

وفي صحيح البخاري وغيره ، قال رسول الله ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم فتأذوا بهم ، فقال الذين في أعلاها : لاندعكم تصعدون فتأذوننا ، فقالوا : لوأنا خرقنا من نصيبنا خرقاً فاستقينا منه ولم نؤذِ من فوقنا ، فأخذ ـ أي أحدهم ـ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا مالك ؟ ! قال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء ، فإن تركوهم وماأرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم ، نجوا ونجوا جميعاً » .

وهكذا صاحب المنكر والضلالة ـ مثله مثل من اخذ فأساً يريد خرق السفينة ـ فإن خَلّي بينه وبين منكره وضلالته ولم يُنكر عليه ، هلك وأهلك معه البلاد والعباد ، وإن اخذوا على يديه وحالوا بينه وبين منكره وضلالته ، نجا ونجت معه البلاد والعباد .

وكذلك الأحزاب العلمانية المرتدة ـ أشد فتنة وخطراً ـ فإن تركوها وأعطوا لها الحرية واعترفوا بشرعيتها ـ باسم الديمقراطية المزعومة ـ هلكوا وأهلكوا معهم البلاد والعباد ، وإن لم يعطوا لها الحرية على الافساد والتخريب ، وأحجبوا شرها عن الناس ، نجوا جميعاً ..

١ـ سورة البقرة : ١٩١ .

رابعاً : من شأن الأحزاب ـ وبخاصة منها العلمانية الكافرة ـ أن تشتت الأمة وتفرق كلمتها وتعدد ولاءاتها في فرق وأحزاب ـ متباغضة متناحرة ـ ماأنزل الله بها من سلطان .

والإسلام جاء بالوحدة والاعتصام ، والألفة والتقارب ، وذم الفرقة والاختلاف ، ونهى عن التنافر والتباغض ..

كما قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .[1]

وقال : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ .[2]

وقال : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ .[3]

فنهي تعالى عن التشبه والاقتداء بالذين فرقوا دينهم شيعاً وأحزاباً ..

ـ شبهة ورد :

لعل قائلاً يقول : النظام الديمقراطي الحر ، هو أفضل لنا من النظام الديكتاتوري ، ثم أنه مفروض علينا شئنا أم أبينا ، اعترفنا به أو لم نعترف .. وما دام الأمر مفروضاً علينا فلما لانتبناه ـ ولو مرحليا ـ ونستغله لصالح المسلمين والعمل الإسلامي ؟ !

والجواب على هذه الشبهة من وجهين :

أولاً ، ان يكون الأمر مفروضاً عليك من دون ارادتك أو رغبة منك ، وأنت لاتستطيع دفعه أو رده .. فهذا شيء تعذر عليه شرعاً لأن الله سبحانه وتعالى لايكلف نفساً إلا وسعها .

كما قال تعالى : ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .[4]

١ـ سورة آل عمران : ١٠٣ .
٢ـ سورة الأنفال : ٤٦ .
٣ـ سورة الأنعام : ١٥٩ .
٤ـ سورة البقرة : ٢٨٦ .

وقال : ﴿ فاتقوا الله ماستطعتم ﴾ .[1]

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان ، وماستكرهوا عليه » .[2]

وكل ماهو مطلوب منك في مثل هذه المرحلة ، هو أن لاتعترف تطوعاً بشرعية الباطل أو تقره أو ترضاه في قلبك .. وهذا أمر تستطيعه ـ لاسلطان لمخلوق عليك فيه ـ لاتُعذر شرعاً لوقصرت في شيء منه .

ثانياً : للمسلم أن يستغل ـ بما لايتعارض مع عقيدته ـ جميع الظروف المحيطة به ـ الديمقراطية منها أو الديكتاتورية ـ لما فيه خير الإسلام والمسلمين ، لكن هذا لايستدعي منه أن يعترف طوعاً من غير إكراه ملزم بشرعية الباطل وسيادته على الحق لواختارته الأكثرية . فاستغلال الشيء والاستفادة منه ـ بما لايتعارض مع الشريعة ـ لايستلزم الاعتراف بشرعية هذا الشيء إن كان باطلاً ، والغاية عندنا لاتبرر الوسيلة .

ثم كون النظام الديمقراطي الحر هو أفضل لنا من النظام الديكتاتوري الذي يقوم على الإرهاب الجسدي وحكم الفرد ، لايستلزم منا أن نتبنى النظام الديمقراطي .. لأنه عندنا البديل الأمثل الذي هو أفضل من النظام الديمقراطي ، والنظام الديكتاتوري سواء ، ألا وهو الإسلام .

فنحن عندما نقول : لا للديمقراطية ، لايعني أننا نقول نعم للديكتاتورية والظلم .. بل الذي نعنيه ونريد أن نقوله : لاللديمقراطية وجميع الأنظمة الأرضية الوضعية .. نعم للإسلام .

١ـ سورة التغابن : ١٦ .

٢ـ رواه أحمد ، وابن ماجة ، والطبراني والحاكم ، صحيح الجامع الصغير : « ١٧٣١ » .

- كلام للإمام حسن البنا في الأحزاب ، والتعددية الحزبية :

يقول الإمام ـ رحمه الله ـ : الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعاً قد وجدت في ظروف خاصة ، ولدواعي أكثرها شخصي ..

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم وعطلت مصالحهم وأتلفت أخلاقهم ، ومزقت روابطهم ، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر ، كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقاً بين حرية الرأي والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة وهو مايوجبه الإسلام ، وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة ، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة وزعزعت سلطان الحكم ، وهو ماتستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم ،والإسلام في كل تشريعاته إنَّما يدعو إلى الوحدة والتعاون ..

أحب أن أقول : إن الإخوان يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لايصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها ، وتتألف هيئة وطنية عامة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم ..

إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب ، ويعتقدون أنها مسكن لاعلاج وسرعان ماينقض المؤتلفون بعضهم على بعض ، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ماكانت عليه قبل الائتلاف . والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدَّت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها ، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون .

وبعد هذا كله أعتقد أيها السادة أن الإسلام وهو دين الوحدة في كل شيء وهو دين سلامة الصدور ونقاء القلوب ، والإخاء الصحيح ، والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعاً فضلاً عن الأمة الواحدة والشعب الواحد ، لايقر نظام الحزبية ولا يرضاه ولا يوافق عليه !!

أيها الإخوان لقد آن أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية في مصر ، وأن يستبدل به نظام تجتمع به الكلمة وتتوحد به جهود الأمة حول منهاج إسلامي صالح تتوافر على وضعه وانفاذه القوى والجهود ..

فلا ندري ماالذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التي تسمي نفسها الأحزاب السياسية ؟!

ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعاً وتجتمع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها ، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العام ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم في ظل الوحدة التي يفرضها الإسلام .[1] اهـ .

ـ كلام للمرشد العام للإخوان المسلمين ، محمد حامد أبو النصر ، في الديمقراطية والتعددية الحزبية :

ـ سؤال : البعض يتهم الإخوان بأنهم أعداء للديمقراطية ، ويعادون التعدد الحزبي ، فما هي وجهة نظركم في هذا الاتهام ؟

ـ جواب : الذي يقول ذلك لايعرف الإخوان إنما يلقي التهمعليهم من بعيد ، نحن مع الديمقراطية بكل أبعادها وبمعناها الكامل والشامل ، ولا نعترض

١ـ مجموعة رسائل الإمام . ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦٨ ، ٣٢٧ .

على تعدد الأحزاب ، فالشعب هو الذي يحكم على الأفكار والأشخاص ..!!![1]

قلت:معاذ الله أن يكون الشعب هو الذي يحكم على دين الله وشريعته .. !!

﴿ والله يحكم لامعقب لحكمه ﴾[2]. ﴿ إن الله يحكم مايريد ﴾[3].

ثم لعل الإمام البنا ـ في نظر الاستاذ ـ لايعرف الإخوان المسلمين ، وهو من الذين يلقون عليهم التهم من بعيد .. !!

ـ فتوى للعلماء[4] في الديمقراطية والتعددية الحزبية :

الديمقراطية عند واضعيها ومعتنقيها : حكم الشَّعب نفسه بنفسه ، وأنَّ الشعب مصدر السَّلطات جميعاً . وهي بهذا الاعتبار مناقضة للشريعة الإسلامية والعقيدة ، قال تعالى : ﴿ إنِ الحُكمُ إلاَّ لله ﴾ ، وقال : ﴿ ومن لم يحكم بنا أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ، وقال : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ ، وقال : ﴿ ولا يُشركُ في حكمه أحداً ﴾ .

ولأن الديمقراطيَّة نظام طاغوت ، وقد أمرنا أن نكفر بالطَّاغوت ، قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصاف لها والله سميع عليم ﴾ ، وقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، وقال : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ .

١ـ مجلة العالم ، رقم ١٢٣ ، ٢١ حريران ، ١٩٨٦ م .

٢ـ سورة الرعد : ٤١ .   ٣ـ سورة المائدة : ١ .

٤ـ منهم الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، انظر بقية أسماء العلماء في « الأصالة » العدد الثاني ، صفحة ٢٤ .

فالديمقراطية والإسلام نقيضان لايجتمعان أبداً ، إمَّا الإيمان بالله والحكم بما أنزل الله ، وإما الإيمان بالطاغوت والحكم به ، وكل ماخالف شرع الله فهو من الطاغوت .

ولا عبرة بمن يحاول أن يجعلها من الشورى الإسلامية ، لأن الشورى فيما لانَصَّ فيه ولأهل الحل والعقد من أهل الدين والورع ، والديمقراطية بخلاف ذلك كما سبق .

والتعددية فرع عن الديمقراطية ، وهي قسمان : تعددية سياسية ، وتعددية فكرية عقائدية .

أما التعددية العقائدية : فمعناها أنَّ الناس في ظل النظام الديمقراطي لهم الحرية في أن يعتقدوا مايشاؤون ، ويمكنهم الخروج من الإسلام إلى أيّ ملَّة ونِحلة أخرى حتى ولو كانت يهودية أو نصرانية أو شيوعية أو اشتراكية أو علمانية ، وتلك هي الردة بعينها . قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزَّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ﴾ ، وقال : ﴿ ومن يرتدَّ منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ، وقال ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

وأما التعددية السياسية : فهي فتح المجال لكافة الأحزاب بغضّ النظر عن أفكارها وعقائدها لتحكم المسلمين عن طريق الانتخابات ، وهذا فيه مساواة بين المسلم وغيره .

وهذا خلاف للأدلة القطعية التي تحرم أن يتولى المسلمين غيرهم ، قال تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ ، وقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ ، وقال : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾.

ولأن التعددية تؤدي إلى التفرق والاختلاف الموجب لعذاب الله ، قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب ظيم ﴾ ، وموجب أيضاً لبراءة الله ورسوله ممن يفعل هذا ، قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شِيعاً لست منهم في شيء ﴾ .

ومن حاول أن يجعل هذه التعددية تعددية برامج لامناهجَ أو على غرار الخلاف المذهبي بين علماء الإسلام ، فالواقع يرده ، ولأن برنامج كل حزب منبثق من فكره وعقيدته ، فبرنامج الاشتراكي منطلق من مبادئ الاشتراكية ، والعلماني الديمقراطي من مبادئ الديمقراطية .. وهلمَّ جراً .

والانتخابات السياسية بالطريقة الديمقراطية حرام أيضاً لاتجوز ، لأنه لايشترط في المنتخب والنَّاخب الصفات الشرعية لمن يستحق الولاية العامَّة أو الخاصة ، فهي بهذه الطريقة تؤدي إلى أن يتولى حكم المسلمين من لايجوز توليته ولا استشارته ، ولأن المقصود بالمنتخب أن يكون عضواً في مجلس النواب التشريعي والمجالس النيابية التي لاتحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإنَّما تتحاكم إلى الأكثرية ، فهي مجالس طاغوتية لايجوز الاعتراف بها ، فضلاً عن أن يسعى المسلم إلى إنشائها ويتعاون في إيجادها ، وهي تحارب شرع الله ولأنَّها طريقة غربية من صنع اليهود والنصارى ولايجوز شرعاً التشبُّه بهم .

ومن يقول : إنَّه لم يثبت في الشرع طريقة معينة في اختيار الحاكم فمن ثَمَّ فلا مانع من الانتخاب يُقال له : ليس صحيحاً أنه لم يثبت ذلك في الشرع فما فعله الصحابة من كيفيات الاختيار للحاكم فكلها طرق شرعيَّة .

وأما طريقة الأحزاب السياسية فيكفي في المنع منها أنه لايوضع لها ضوابط ، وتؤدي إلى تولية غير المسلم وليس أحد من الفقهاء يقول بجواز ذلك .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .[1]



---

١ ـ مجلة « الأصالة » ، العدد الثاني .

ـ موقف الإسلام من تعددية الأحزاب الإسلامية :

بعد حديثنا عن موقف الإسلام من الأحزاب العلمانية الكافرة ـ حيث بينا المزالق العقدية والشرعية المتحصلة من مجرد الاعتراف بشرعية وحرية هذه الأحزاب ـ يضطرنا البحث للحديث عن موقف الإسلام من تعددية الأحزاب الإسلامية التي تتبنى العقيدة الإسلامية وتعمل لها ..

وحتى نتحرى الدقة والصواب ، لابد لنا أولاً من التفريق بين العمل الحزبي الجماعي في ظل دولة علمانية تعادي الإسلام ولا تحكم بما أنزل الله ، وبين العمل الحزبي الجماعي في ظل دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله . حيث كل من الحالتين لها حكمها الخاص المختلف عن الآخر ،كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

ـ العمل الحزبي الجماعي في ظل الدولة الإسلامية :

اعلم أنَّ الإسلام لايقر ولا يجيز العمل الحزبي الجماعي ، أو التعددية الحزبية في ظل دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله في جميع شئون الحياة ، أي لايجوز للمسلمين ــ مهما سمت غاياتهم ومقاصدهم ـ أن يشكلوا تكتلات وأحزاباً سياسية مغايرة للجماعة التي تتمثل في الحاكم المسلم (الخليفة) وجميع المسلمين القاطنين في دولة الإسلام .

وذلك لأوجه ، أهمها :

أولاً ، ان الإسلام دين الوحدانية في كل شيء : فالله سبحانه وتعالى واحد لاشريك له ، والرسول ﷺ واحد ـ ولا نبي بعده ـ ، والقبلة واحدة ، وجماعة المسلمين المنصورة الناجية واحدة ، والحق الذي يجب أن يتبع واحد لايتعدد « فماذا بعدَ الحقِّ إلاّ الضلال »[1] .

١ـ سورة يونس ٣٢ .

وسبيل المسلمين ـ للنصر والفلاح ـ واحد لايتعدد ،كتاب الله وسنة رسوله ، من تمسك بهما لن يضل أبداً : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ .[1]

فأمر الله تعالى بالوحدة والاعتصام بحبله وحبب ذلك لعباده ، ونهى عن الفسوق والتفرق والاختلاف .. وكره لعباده ذلك .

فقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تَفرَّقوا ، واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ كنتُمْ أعداءً فألَّفَ بين قلوبكم فأصبحتمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا ﴾ .[2]

وقال : ﴿ ولا تكونوا مِنَ المشركينَ ، مِنَ الذين فرَّقوا دينَهُمْ وكانوا شِيَعًا ، كلُّ حِزبٍ بما لَدَيْهِمْ فَرِحون ﴾ .[3]

وقال :﴿ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختَلَفوا من بعد ماجاءهمُ البينات﴾ .[4]

وقال : ﴿ إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيعاً لستَ منهم في شيء ﴾ .[5]

وقال تعالى : ﴿ إنَّ هٰذه أمّتكم أمَّةً واحدةً ، وأنا ربُّكم فاعبدونِ ﴾ .[6]

وقال : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم ﴾ .[7]

وقال : ﴿ أقيموا الدّينَ ولا تَتَفرَّقوا فيه ﴾ .[8]

وغيرها كثير من الآيات التي تأمر بالوحدة والتآلف والاعتصام بحبل الله عز وجل ، وتنهى عن التفرق والتنازع والاختلاف في الدين .

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ،

١ـ سورة الأنعام : ١٦ .　　٢ـ سورة آل عمران : ١٠٣ .　　٣ـ سورة الروم : ٣١ .

٤ـ سورة آل عمران : ١٠٥ .　　٥ـ سورة الأنعام : ١٥٩ .　　٦ـ سورة الأنبياء : ٩٢ .

٧ـ سورة الأنفال : ٤٦ .　　٨ـ سورة الشورى : ١٣ .

فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .[١]

وقال : « عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنته وساءته سيِّئته فذلكم المؤمن » .[٢]

وقال : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٣]. وقال: « يد الله مع الجماعة».[٤]

وقال : « والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار « قيل يارسول الله من هم ؟ قال : «الجماعة »[٥]. وفي رواية قال « كلهم في النار إلا مِلَّةً واحدةً » قال : « ما أنا عليه وأصحابي » .[٦]

فدلّ أن الجماعة الناجية المنصورة هي التي تكون على ماكان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، كتاب الله وسنة نبيه .

وعن جابر بن عبد الله ، قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ ، فخط خطا هكذا أمامه ، فقال : « هذا سبيل الله عز وجل » . وخط خطًا عن يمينه ، وخط خطًا عن شماله وقال : « هذه سبل الشيطان » . ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وأن هـٰذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتَّبعوا السبلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيلِهِ ﴾ .[٧]

١ـ صحيح مسلم .

٢ـ ٤ـ ٦ـ صحيح سنن الترمذي .

٣ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة .

٥ـ صحيح سنن ابن ماجة .

٧ـ حديث صحيح ، انظر تخريج السنة للشيخ ناصر .

وقال ﷺ : « لاتباغضوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام »[1].

وقال : « لاتختلفوا ، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا »[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله[3].

وعن قتادة ، قال : إن الله عزّ وجلّ قد كره لكم الفرقة ، وقدم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ، ورضي لكم السمع والطاعة والإلفة والجماعة ، فارضوا لأنفسكم مارضي الله لكم إن استطعتم ولا قوة إلاّ بالله .

ولا يخفى كل منصف متجرد للحق ، أن الأحزاب السياسية من شأنها أن تفرق كلمة المسلمين وتضعف شوكتهم ، وتعدد ولاءاتهم وانقساماتهم في أحزاب وشيع متباعدة متناحرة ، تورث المسلمين التباغض والحسد والتقاطع والتدابر .. ويحصل من جراء ذلك من المفاسد مالا يعلمه إلا الله عز وجل .

هذا وجه من أوجه تحريم تعدد الأحزاب في ظل دولة الإسلام .

ثانياً : من شأن الأحزاب السياسية ـ كما هو معلوم من سيرتها ـ الاستشراف إلى حد التقاتل والتنازع ، في طلب الإمارة والرياسة والحكم ، فكل حزب يحرص أن يقوم بالدعاية المطلوبة ـ التي لاتخلوا من الانتقاص

١ـ متفق عليه . ٢ـ رواه البخاري .

٣ـ تفسير الطبري : ٤ / ٣٩ .

للآخرين وتجريحهم ، وسوء الظن بهم ـ لنفسه ، فيزكي نفسه على الله وعلى العباد ، لكي ينال القبول عند السلطان أو ينجح في العملية الانتخابية علّة يصل إلى سدة الحكم ، والوصول إلى الحكم ـ عند الأحزاب ـ غاية ، يستحلون كل الوسائل لأجلها !!

وهذا خلق سيء مذموم ، لايرضاه الإسلام ولا يقره .

عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي ، فقال أحد الرجلين : أمّرنا يارسول الله ، وقال الآخر مثله ، فقال : «إنّا لانولّي هذا من سأله ولا من حرص عليه » .[1]

وقال ﷺ : «إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة» .[2]

وقال:«إنّا والله لانولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه» .[2]

وعن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : قال لي رسول الله ﷺ ، ياعبد الرحمن لاتسأل الإمارة ، فإنك إن اعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » .[2]

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قلت : يارسول الله الا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : « يا أبا ذر إنّك ضعيف ، وإنّها أمانة ، وإنّها يوم القيامة خزي وندامة إلاّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » .[2]

رغم أن أبا ذر رضي الله عنه ، يقول فيه الرسول ﷺ : « ماأظلت الخضراء

١ـ صحيح البخاري .

٢ـ صحيح مسلم .

٣ـ رواه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، صحيح الجامع الصغير : « ٥٥٣٨ » .

ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر ، شبه عيسى ابن مريم » .[1]

ومع ذلك لم ينصحه ـ الرسول ﷺ ـ بالإمارة ، ولم يردها له .. !!

وقال ﷺ : « مامن رجل يلي أمر عشرة ، فما فوق ذلك ، إلا أتى الله مغلولاً إلى عنقه ، فكّه برُّه أو أوثقه إثمه ، أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، وآخرها خزي يوم القيامة » .[2]

وقال ﷺ : « لاتسألوا الناس شيئاً » . وقال : « من تكفل لي أن لايسأل الناس شيئاً أتكفل له الجنة » .[3]

وهذا كله ليس من خلق الأحزاب ، بل من خلقها التزلف والاستشراف في سؤال الناس أن يصوتوا لهم وينتخبوهم ، ويسمون ـ بكل وقاحة ـ هذا الاستشراف والتزلف دعاية انتخابية ..[4]!!

وهذا وجه من أوجه التحريم ..

ثالثاً : من شأن الأحزاب وديدنها ـ كما هو معلوم لدى الجميع ـ إظهار عيوب السلطان وزلاته للناس بطريقة افتزازية ـ ليظهروا أمام الشعب أنهم أمناء على مصالحهم ـ فيحدثون فجوة عميقة بين الشعب والنظام الحاكم تمهيداً لأنفسهم ـ مما يترتب عليه زعزعة الحكم وفقدان الاستقرار والأمن ، ولربما

١ـ رواه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، صحيح الجامع الصغير : « ٥٥٣٨ » .

٢ـ رواه أحمد وغيره ، صحيح الجامع الصغير : « ٥٧١٨ » .

٣ـ صحيح الترغيب والترهيب : « ٨٠٧ » .

٤ـ في احدى البلاد العربية التي جرت فيها انتخابات شعبية لتحديد نوابها ، كان بعض الذين رشحوا أنفسهم للانتخابات ، يرسلون النساء إلى دور الناس يسألونهم أن يصوتوا لمرشحهم .. تأمل ؟!

يؤدي إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات .. كل ذلك لالشيء سوى اشباع رغبة الأحزاب في الوصول إلى الحكم .. !!

وهذا خلق لايرضاه الإسلام ولا يقره ، وهو من خلق المنافقين الذين يعطون العهد والبيعة على السمع والطاعة بيد ، وينقضونها باليد الأخرى !

عن نافع قال : لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ، جمع ابن عمر حشمه وولده ، فقال : إني سمعت النبي ﷺ ، يقول : « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة » . وإنَّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لاأعلم غدراً أعظم من أن يُبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال ـ وهذا من خلق الأحزاب ، حيث يسمون ذلك بالمعارضة وإني لاأعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه .[1]

وقال ﷺ : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنَّه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » .[1]

وقال ﷺ ـ والحديث في صحيح مسلم ـ : « لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة » .

ذكر القاضي عياض في شرح الحديث احتمالين : أحدهما ، أن يكون المراد نهي الرعية عن الغدر بالإمام ، فلا يشقوا عليه العصا ولا يتعرضوا لما يخاف حصول فتنة بسببه .[2]

وقال ﷺ : « إنَّه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه

١ـ صحيح البخاري .

٢ـ شرح صحيح مسلم للنووي : ١٢ / ٤٢ .

الأمة وهي جميع ، فاضربوه بالسيف كائناً من كان ».[1]

وقال : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه ».[1]

قال النووي ـ رحمه الله ـ في الشرح : فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك ، وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل ، وإن لم يندفع شره إلاّ بقتاله فقتل . وقوله « يريد أن يشق عصاكم » معناه يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة ، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس .[2]

وفي كيفية توجيه النصح للسلطان المسلم والتعامل معه في حال حصول الخطأ والانحراف ، فقد صح عنه ﷺ ، أنه قال : « من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به ، فإن قبل منه فذلك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه ».[3]

وفي رواية : « من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده ، فليخلو به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى الذي عليه ».[3]

تأمل بعين الانصاف ـ فتح الله عليك ـ هل تجد هذا من خلق الأحزاب ..؟! أم أنك تجدهم يشهرون بالسلطان عبر نشراتهم وجرائدهم ووسائلهم الأخرى ، ويسمعون الناس ـ حتى يضمنوا الفوز في الانتخابات القادمة ـ عن كل مايجري بينهم وبين السلطان من مقاولات وأمور .. مايصح أن يعرف

١ـ صحيح مسلم .　　　٢ـ ١٢ / ٢٤١ .

٣ـ رواه أحمد ، وهو حديث صحيح ، انظر تخريج السنة للشيخ ناصر .

وما لا يصح !!

رابعاً : من شأن الأحزاب - في ظل دولة الإسلام - أن تربي المسلمين على الازدواجية والتلون والنفاق . فهم من جهة يعطون البيعة على السمع والطاعة للسلطان المسلم ، ومن جهة ثانية يعطونها للحزب وأمير الحزب .. !!

وهذا من خلق المنافقين ، لايقره الإسلام ولا يرضاه .

كما قال تعالى : ﴿ مذبذبين بين ذلك ، لاإلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ .[1]

وقد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « إنَّ شر الناس ذو الزجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » .[2]

وقال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، لاتدري أيهما تتبع » .[3]

وهذا مثل من يعطي ولائين متغايرين في وقت واحد ، ولاء للحزب وولاء للسلطان المسلم ، ولا يدري أيهما يتبع ويطيع !!

- كما أن البيعة على السمع والطاعة ، لايجوز أن تعطي مرتين - في نفس الوقت - مرة للخليفة المسلم ، ومرة لأمير الحزب .. !

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا بويع الخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما» .[4]

خامساً : وجود الأحزاب في المجتمع الواحد .. فرصة رابحة للمنافقين أصحاب النفوس المريضة والغايات الخطيرة .

فالأحزاب فرصتهم ، لأنهم يجدون فيها الغطاء - الساتر لتحركاتهم

١- سورة النساء : ١٤٣ .   ٢- صحيح البخاري .

٣- رواه مسلم .   ٤- صحيح مسلم .

الحقيقية ، والحماية الكاملة لأشخاصهم ومصالحهم إذا فُضح من أمرهم شيء .. وبخاصة أن الأحزاب من شأنها أن تُبالغ في الزود والدفاع عن أفرادها ـ وبخاصة إذا كانوا في موقع القيادة للحزب ـ في حال كشفت أو عرفت خيانتها ، لأن معاقبة الفرد ـ وبخاصة إذا كان قيادياً ـ هي معاقبة للحزب ولسمعة الحزب ، لأجل ذلك فالعدالة ـ في ظل مجتمع حزبي ـ لاتأخذ طريقها بسهولة إلى التنفيذ والتطبيق .

ومن يتابع سيرة الأحزاب المعاصرة ، يجد كثيراً من الشخصيات الخطرية ـ يهودية وماسونية ـ قد استطاعت أن تتسرب إلى داخل هذه الأحزاب وتستلم فيها مناصب عالية ، وأن تستغلها كغطاء لأهدافها الباطنية الخطيرة .

لأجل هذه الأوجه مجتمعة ـ وواحد منها يكفي ـ نقول : لاحرية للأحزاب في ظل دولة الإسلام أيّاً كانت هوية وعقيدته هذه الأحزاب ؛ أي لايجوز للمسلمين ـ مهما سمت غاياتهم وحسنت مقاصدهم ـ أن يشكلوا أحزاباً سياسية في ظل الدولة الإسلامية .

ـ شبهة ورد :

بعض دعاة الحزبية ، يقولون بشرعية تعدد الأحزاب في ظل الدولة الإسلامية إذا تقيدت هذه الأحزاب بتعاليم الإسلام وتبنت عقيدته ، ويستشهدون بقوله تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ .[1]

١ـ سورة آل عمران ١٠٤

وقالوا : فقوله « منكم أمة » يعني حزب يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعليه بنوا قولهم بحرية تعدد الأحزاب في ظل الدولة الإسلامية ..!!

وقالوا : والغاية من وجود الأحزاب وقيامها ، تقويم السلطان ومحاسبته إذا اعوج وانحرف ، وحماية الأمة من ظلمه وجوره ، وهذه ضرورة تفرض على الأمة أن يشكلوا أحزاباً .. !!

والجواب على هذه الشبهة من أوجه :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ هذه الآية الكريمة لها علاقة في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها حض للمسلمين أن تنفر منهم طائفة تتخصص وتتفرغ لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكمه ابتداء « فرض عين » على جميع المسلمين كالجهاد فإذا قامت به طائفة من المسلمين وكفت بالمطلوب سقط حكم الوجوب وأصبح فعله في حق البقية من المسلمين سنة وأمراً يُندب له .

كما قال تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾.[1]

قال القرطبي في التفسير : وهي أن الجهاد ليس على الأعيان ، وأنه فرض كفاية كما تقدم إذا نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال ، فليخرج فريق منهم للجهاد ، وليقم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم .[2]

وفي قوله « ولتكن منكم أمة » . قال الضحاك : هم خاصة الرواة ، يعني

١ـ سورة التوبة : ١٢٢ . ٢ـ الجامع : ٨ / ٢٩٣ .

المجاهدين والعلماء . قلت : لأنها مهمة عظيمة ، لوتصدى لها رعاع الناس لايصلحون لأن فاقد الشيء لايعطيه .

وقال ابن كثير في التفسير : والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه .[1]

وأولى الناس بهذا الخطاب هو السلطان المسلم ـ الخليفة ـ وهو معني به أكثر من غيره لما لديه من الامكانيات والصلاحيات التي تمكنه من القيام بهذا الواجب .

فقد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « أنَّما الإمام جنة يُقاتَل من ورائه ، ويُتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً ، وإن أمر بغيره فإن عليه وزراً » .[2]

والحزبيون يرون أن هذه الآية الكريمة خاصة بهم من دون السلطان المسلم ، وكأن السلطان المسلم من شأنه أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف .. !!

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية : لابد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . والذي يقرر أنه لابد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته ، فهناك « دعوة » إلى الخير ولكن هناك

١ـ ١ / ٤٠٦ . قلت : تغيير المنكر موقوف على قدر الاستطاعة عند المغير ، فمن وجد في نفسه القدرة والاستطاعة على تغيير منكر من دون أن يؤدي إلى منكر أشد ، وجب في حقه تغيير هذا المنكر ، وإن لم يستطع تغييره تركه إلى من يستطع تغييره من أهل الشوكة والعلم ، لأن الله لايكلف نفساً إلا وسعها .

٢ـ متفق عليه . (صحيح الجامع الصغير) .

كذلك « أمر » بالمعروف ، وهناك « نهي » عن المنكر وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان فإن الأمر والنهي لايقوم بهما إلا ذو سلطان .[1]

وقولنا أن السلطان المسلم معني بهذا الخطاب أكثر من غيره ، لايمنع من أن يقوم كل فرد مسلم ـ بحسب مالديه من صلاحيات وامكانيات ـ بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر المستطاع .

كما قال تعالى : ﴿ اتقوا الله ما استطعتم ﴾ .[2]

وقال : ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .[3]

وفي صحيح مسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وقولهم : أن في الآية رخصة لتشكيل الأحزاب .. قول لاتحتمله معاني الآية ، ولا يقبله عقل ولا نقل ، وما قال به أحد من أهل العلم والتفسير .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية : فمن الأمر بالمعروف ، الأمر بالائتلاف والاجتماع ، والنهي عن الاختلاف والفرقة .[4]

فالآية فيها دليل على بطلان الأحزاب ـ التي من شأنها أن تفرق ولا توحد

١ـ الظلال : ١ / ٤٤٤ . حزب اسلامي معاصر ، يرى أن هذه الآية الكريمة أمر من الله من فوق سبع سماوات للمسلمين ، بأن يشكلوا أحزاباً سياسية في ظل دولة الإسلام ، وهم في ظل دول الكفر والطغيان يرفعون مبدأ عدم تغيير المنكر والواقع الكافر عن طريق استخدام المادة أو القوة مالم تقم الخلافة ؟!

فتأمل كيف استشهدوا بالآية الكريمة في مواضع لايصح الاستشهاد بها ، وصرفوها عن المواضع التي يصح الاستشهاد بها ؟!

٢ـ سورة التغابن : ١٦ . ٣ـ سورة البقرة : ٢٨٦ . ٤ـ الفتاوى : ٣ / ٤٢١ .

ـ وليس على شرعيتها .

ثانياً : لو نظر دعاة الحزبية في قوله تعالى في الآيتين التين قبل وبعد قوله : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ لوجدوا أن الآيتين تأمران بالجماعة والائتلاف ، وتنهيان عن الفرقة والاختلاف . حتى لايفهم من قوله ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ مافهمه الحزبيون من جواز تشكيل الأحزاب السياسية التي تفرق الأمة في شيع ماأنزل الله بها من سلطان .

قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ .

(أمر بالوحدة والاعتصام ونهي عن الفرقة والاختلاف) .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ .

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .[١]

(نهي عن الفرقة والاختلاف) .

أقول : لو أمعن الحزبيون النظر في الآية التي قبل قوله ﴿ولتكن منكم أمة ﴾ والتي بعدها ، لأدركوا أن الآية لايصح الاستدلال بها على جواز تشكيل الأحزاب وتعددها .

ثالثاً : قولهم أن الغاية من وجود الأحزاب تقويم « السلطان المسلم » في

١ـ سورة آل عمران : ١٠٣ـ ١٠٥ .

حال انحرافه وظلمه للأمة .. قول فيه اساءة ظن مسبقة بالحاكم المسلم دليل على حصول الريب في النفوس وعدم صفائها تجاه السلطان المسلم ، وكأن الحاكم (الخليفة) مفروض فيه أن ينحرف عن الإسلام ، ويظلم الأمة ويبطش بالرعايا ، ويخون المسلمين .. !

مثل هذه المعاملة ابتداء التي تقوم على هذا الظن السيء ، مدعاة لحصول الفتن وفقدان الاستقرار ، وخراب البلاد والعباد .

وفي الحديث ، قد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « من أهان سلطان الله في الأرض ، أهانه الله ، ومن أجل سلطان الله أجله الله يوم القيامة »[1]

وسلطان الله في الأرض هو خليفة المسلمين وإمامهم ، الذي به تقام الحدود ، وتنفذ الأحكام ، ويصان الدين ، وتحمى الثغور ، وترسل البعوث للجهاد ..

وقال ﷺ : « لاتسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله ، واصبروا فإن الأمر قريب »[2]

وهذا ليس من خلق الأحزاب ، بل من خلقها ـ كما هو معروف لدى الجميع ـ سب الأمراء وغشهم وبغضهم وتحريض الناس عليهم ، وحب الظهور ـ بالأقوال دون الأفعال ـ والرياء .. وهذا كله معلوم مخالفته لصريح الدين .

وفي حال انحراف الحاكم المسلم عن جادة الصواب ، بين الإسلام للأمة السبل التي بها تواجه هذا الانحراف وتقومه ـ والموقف يكون على القدر الذي يحسم الانحراف من دون زيادة أونقصان ، وبما لايترتب عليه فتنة أكبر

١ـ رواه الترمذي ، وأحمد ، صحيح الجامع الصغير : « ٦ » .

٢ـ رواه ابن أبي عاصم في السنة ، وصححه الشيخ ناصر في التخريج .

- ولي[...] تشكيل الأحزاب السياسية[1].

[...]صح عن النبي ﷺ أنه قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، [...]ها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم ماعرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجز»[2].

وقال: «عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، وسترون من بعدي اختلافاً شديداً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجز وإيَّاكم والأمور المحدثات فإنَّ كل بدعة ضلالة»[3]

وقال ﷺ: «ماتركت شيئاً يقربكم إلى الله إلاّ وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله، ويقربكم إلى النار إلاّ وقد نهيتكم عنه»[4].

وقول دعاة الحزبية الحمقاء بتعدد الأحزاب السياسية، قول مستحدث في الدين لم يسبقهم إليه الرسول ﷺ، ولا أحد من الخلفاء الراشدين الأربعة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم اجمعين، ولا أحد من السلف أو الخلف، من أهل العلم المعتبرين .. وبيننا وبين دعاة الحزبية دهر طويل على أن يأتوننا بدليل واحد من سيرة الرسول ﷺ، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده، مايدل على جواز تشكيل الأحزاب السياسية، وجواز تعددها في ظل الدولة الإسلامية (الخلافة) . وأنَّى لهم ..

ثم لو كان تشكيل الأحزاب السياسية وتعددها في جسد الأمة الواحدة ..

١ـ انظر فصل «الخروج على الحكام» من كتاب «دعاة وقضاة».

٢ـ رواه ابن ماجة، وأحمد، السلسلة الصحيحة: «٩٣٧».

٣ـ صحيح سنن ابن ماجة: «٤٠»

٤ـ صحيح، انظر تخريج مناسك الحج والعمرة للشيخ ناصر.

مما يقرب إلى الله عز وجل ، ويبعد عن النار لكان الرسول ﷺ قد بينه لأمته بنص صريح أو فعل أو إقرار واضح لايحتمل التأويل ، ولما ترك الأمر مبهماً ـ حاشى له ـ إلى زماننا هذا ليتدارك عليه صعاليك الحزبية الحمقاء ، ويقولون : الأحزاب من الدين ، والإسلام يأمر بها .. !!

بل الذي صح عنه ﷺ ـ كما سبق بيان ذلك ـ النهي عن كل مايفرق الأمة ويشتت طاقاتها في أحزاب وشيع ماأنزل الله بها من سلطان .

وعليه نقول : الأحزاب فكرة مستحدثة في الدين ، وهي بدعة ضلالة ، مضروب بها على وجوه دعاة الحزبية الحمقاء ، سمعاً وطاعة للرسول المصطفى ﷺ ، الذي قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . وفي رواية « من أحدث في أمرنا ماليس منه فهو رد » .[1]

خامساً : وردت كلمة « حزب » بصيغة المفرد في القرآن الكريم على وجهين : وجه يفيد المدح ، ووجه يفيد الذم .

أما الوجه الذي يفيد المدح ، كقوله تعالى : ﴿ ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[2] وقوله : رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .[3]

وحزب الله واحد لايتعدد ، يتمثل في جماعة المسلمين وإمامهم الذين يكونون على ماكان عليه الرسول ﷺ ، وأصحابه .

وأما الوجه الذي يفيد الذم ـ وهو كل حزب غير حزب الله عز وجل ـ

١ـ متفق عليه .　　　　٢ـ سورة المائدة : ٥٦ .

٣ـ سورة المجادلة : ٢٢ .

كقوله تعالى: ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾.[1]

وقوله: ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾.[2]

بينما لم تُذكر كلمة « الأحزاب » بصيغة الجمع والتمدد إلاّ على وجه الذم والانكار، وقد وردت في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، كلها جاءت بصيغة الذم.[3]

شاهدنا من هذا أن الإسلام لو يقبل بفكرة التعددية الحزبية ـ وبنفس الوقت تكون جميع هذه الأحزاب على حق ـ لجاءت ولو مرة واحدة آية تشير إلى أن أحزاب الله هم المفلحون أو الغالبون ولكن الحق واحد لايتعدد، وما دونه فهو الضلال: ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾.[4]

وكذلك حزب الله واحد لايتعدد ولا يتجزأ: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾.[5]

ثم لو قيل للحزبيين: كم حزب تريدون؟ وكم هي عدد الأحزاب التي يسمح بها الإسلام؟

فإن حددوا عدداً معيناً من الأحزاب، قلنا لهم: مادام الأصل عندكم الجواز، فمن أين لكم الدليل من الكتاب والسنة على تقييد عدد الأحزاب بهذا العدد؟ وأنى لهم ..

إذاً لم يبقى سوى الاحتمال الآخر، وهو أنها دعوة منهم مفتوحة إلى تشكيل الأحزاب وإن تجاوز تعدادها المائة حزب في المجتمع الواحد .. !! وهذا

١ـ سورة المؤمنون: ٥٣ ٢ـ سورة المجادلة: ١٩. ٣ـ انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كلمة أحزاب. ٤ـ سورة يونس ٣٢. ٥ـ سورة المائدة: ٥٦.

قول أسخف من أن يرد عليه فضلاً من أن يقول به دين .

يقول الاستاذ فتحي يكن : فالساحة الإسلامية تشهد ولادة حركات وتنظيمات وجمعيات وفرق إسلامية على نطاق واسع ، وإن كان البعض يعتبر ذلك ظاهرة صحية ، فإنني ـ من خلال المفهوم الشرعي للعمل الإسلامي ، ومن خلال التقدير الصحيح للمصلحة الإسلامية ، ومن خلال متابعة مايجري عليها ـ اعتبره ظاهرة مرضية وخطيرة ، وتنذر بعواقب وخيمة لايعلم مداها إلاّ الله ..

فلو برئت التعددية من التعصب وسادت روح الأخوة بين الفئات المتعددة ، وحلت أجواء التعاون والتفاهم والتنسيق بينهم لهان الخطب ، وخفف المصاب ، ولكن الأمر يجري بعكس ذلك تماماً ، فالتعدديات لم تفرز إلا مزيدا من الصراعات ، ولم تتسبب إلا باشاعة الأحقاد والضغائن بين المسلمين ، مما شغلهم بالجدل عن العمل ، والتنقيب عن السقطات والعيوب بدل التماس العذر والحرص على الستر .

والتعددية باتت اليوم مرتعا خصباً ومناخاً مناسباً يمكن أن يدلف منه أعداء الإسلام إلى الساحة الإسلامية ، وتحت عناوين وشعارات اسلامية في ظاهرها وباطنها فيه الشر المستطير والمسلمون أمام هذا السيل العرم والأرقام المتزايدة من الحركات والتنظيمات والمؤسسات أصبحوا في حيرة .. ترى من يصدقون ، وبمن يثقون ، ومع من يسيرون ؟ وكأن المراد هو بلوغ هذه النتيجة لأنها الأخطر والأدهى والأمر .. !

فالتعددية من شأنها أن ترسم علامة استفهام عريضة على كل الحركات

الإسلامية ، الأصيلة منها والدخيلة ، الصادقة منها والعميلة ، السليمة منها والسقيمة ، وحين يتحقق ذلك يصبح العمل الإسلامي بدون قاعدة ، وبدون أساس وبدون رصيد ودون ظهر ، كما تصبح صورة الجميع مشوهة ومهزوزة !

والتعددية مناخ مناسب لتوالد كل التناقضات على الساحة الإسلامية ، وهذا كذلك مطلوب لأن أعداء الإسلام إن كانوا حريصين على شيء فعلى إحداث المتناقضات بين المسلمين واللعب عليها ، والاستفادة منها في ترتيب المعادلات والتوازنات ورسم السياسات والمؤمرات ..

فكيف يمكن ـ والحالة هذه ـ أن تكون التعددية مقبولة ، بل كيف يمكن أن تكون ظاهرة صحية ؟[1] ا ـ هـ .



١ ـ كتاب احذروا الآيدز الحركي .

- العمل الحزبي الجماعي في ظل دولة علمانية لاتحكم بما أنزل الله :

يختلف الحديث هنا بعض الشيء عما قلناه عن العمل الحزبي الجماعي في ظل دولة الإسلام لاختلاف واقع المسلمين في كل من الدولتين ، ففي دولة الإسلام يكون الإسلام عزيزاً له الحكم ، والمسلمون أعزاء لهم شوكتهم وإمامهم الذي تجتمع عليه كلمتهم ويتوحد شملهم ، والجماعة قائمة من شذّ عنها شذّ في النار ..

لأجل ذلك نقول : لامبرر لوجود الأحزاب في ظل الدولة الإسلامية سوى شق عصا المسلمين وتفريق كلمتهم في شيع وأحزاب ماأنزل الله بها من سلطان .

أمّا في ظل دولة الطاغوت - وكل دولة لاتحكم بما أنزل الله فهي دولة طاغوت - فالإسلام محارب والمسلمون مضطهدون في دينهم ومعاشهم ، ومستضعفون في ديارهم يُسامون أشدّ الفتنة والعذاب ، وليس لهم إمام يجمع كلمتهم ويوحد طاقاتهم ، ويقاتل عنهم الأعداء ، ويقيم فيهم حكم الله .. وهم من جهة مطالبون شرعاً بالإعداد قدر استطاعتهم ، ومن ثم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الدين ، حتى لاتكون فتنة في الأرض ويكون الدين كله لله .

فهل يصح أن يُقال لهم - وهذا هو واقع حالهم - انطلقوا للجهاد ولإعلاء كلمة الله في الأرض كل بمفرده .. ؟ !

وهل يقال لهم لايجوز لكم أن تعدوا وتعملوا لنصرة دينكم من خلال عمل جماعي منظم ، يرشد الطاقات ويوجهها بهدوء إلى الهدف المنشود .. ؟ !

وهل يقال لهم - وليس لهم إمام تجتمع عليه كلمتهم - لايجوز لكم أن

تجتمع كلمتكم ويلتم شملكم على أمير مسلم عدل يقاتل عنكم وعن دينكم ..؟!

لايقول بهذا القول ناصح، إلا أحد اثنين: مرجف مغفل، أو رجل لايريد للمسلمين أن تقوم لهم قائمة.

ثم ماذا يريد الطغاة منا سوى هذه الاتكالية والفردية الانطوائية، والحركة الفوضية العشوائية التي لاترضي الله ولا رسوله ..؟!

- ضرورة العمل للإسلام من خلال جماعة منظمة عليها أمير مطاع:

تواجه الجاهلية المعاصرة ـ المتمثلة بأنظمتها الكافرة ـ المسلمين بكل أسباب القوة والمنعة، من تنظيم وتخطيط، وتكتل واعداد وعتاد .. فمن العبث والتواكل أن يواجه المسلمون هذه الجاهلية المنظمة القوية التي أخذت بجميع أسباب القوة المادية، بأسباب الضعف والهزيمة، من عشوائية وحركة فردية فوضوية، وروح صوفية إتكالية.

فالعمل الجماعي لايفله إلاّ عمل جماعي مماثل، لاالفوضوية والعشوائية، والقوة لايفلها إلاّ القوة لاالضعف والتشرذم، والحديد لايفله إلا الحديد .. ومالايتم الواجب إلاّ به فهو واجب.

لذلك فقد أمر الله تعالى المسلمين بالاعداد والأخذ بجميع أسباب القوة، فقال تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ماساتطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾.[1]

فوجب على المسلمين بنص الآية الكريمة أن يأخذوا بجميع أسباب القوة

١ـ سورة الأنعام: ٦٠.

والغلبة المادية منها والمعنوية ، التي ترهب عدو الله وعدو المسلمين ، والتي منها : الجماعة ، والتنظيم والتخطيط ، والإمارة والطاعة .. التي تعتبر من المستلزمات الضرورية للإعداد الناجح ومن ثم الجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض .

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم »[1] . فإذا كان من مستلزمات السفر الناجح - وهو سفر - التنظيم والإمارة والطاعة ، فمن باب أولى أن يكون العمل والتوجه لإقامة الدولة الإسلامية - على منهاج النبوة - قائم على أساس من التنظيم والتخطيط السليم ، والعمل الجماعي المنظم الذي عليه أمير مطاع .

وقال ﷺ : « لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » . وفي رواية : « لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة » . وفي رواية : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة » . وفي رواية : « لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لايضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك »[2] .

شاهدنا من هذه الأحاديث الصحيحة ، أن هذه الطائفة أو العصابة المسلمة - كما وصفها الرسول ﷺ - تقاتل في سبيل الله ، وهي موجودة في زماننا - زمان غياب الخلافة الإسلامية ، وغياب السلطان المسلم الذي تجتمع عليه كلمة

١- رواه أبو داود ، صحيح الجامع الصغير : « ٥٠٠ » . ٢- صحيح مسلم .

المسلمين ـ وفي كل زمان إلى أن تقوم الساعة .

وإذا كان الأمر كذلك ، فهل يعقل أن هذه الطائفة المذكورة ـ التي من أبرز سماتها أنها تقاتل في سبيل الله ـ تقوم بمهمة القتال بطريقة فردية عشوائية غير منظمة ، أم أنها تقاتل بطريقة جماعية منظمة ؟ !

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ».[1]

ثم هل مهمة القتال ـ ومعلوم كم للقتال الناجح من مستلزمات ومتطلبات ـ مهمة فردية ، أم هي مهمة جماعية تقوم بها جماعة مدربة منظمة ، عليها أمير مطاع ؟ !

وإذا كانت الإمارة والطاعة لاتستخدمان في مثل هذا الموضع الهام ، فبأي المواضع تستخدمان ؟ !

عجيب لأولئك الذين يرفضون مطلق العمل الجماعي المنظم بدعوى ـ مزعومة ـ رفض التحزب والحزبيات التي تفرق كلمة المسلمين !!

وأي فرقة اشد على وحدة كلمة المسلمين ، من أن يعمل المسلمون كل بمفرده وطريقته الخاصة من دون أن تجتمع جهودهم في جماعة واحدة ، ومعلوم متى أكل الثور الأبيض !

ثم لينظروا في سيرة الرسول ﷺ وصحابته ، قبل قيام الدولة في المرحلة المكية ، هل كانت تقوم على اسلوب الدعوة الفردية من دون جماعة ولا طاعة للرسول ﷺ .. أم أنها كانت تقوم على أساس العمل الجماعي المنظم والطاعة للرسول ﷺ ؟ !

---

١ ـ سورة الصف : ٤ .

وفي الحديث ، قد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة » . وقال : « يد الله مع الجماعة » . وقال : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » .[1]

ولهؤلاء الذين يرفضون العمل الجماعي المنظم مطلقاً ، نقول لهم : ماحكم الجهاد في هذا الزمان ؟ يقولون : هو فرض عين على كل مسلم . قلنا لهم : كيف السبيل لإحياء هذه الفريضة الغائبة ، التي أمتناها بالفوضى والفردية والتصرف اللامسؤول ؟ !

قالوا : لابد أولاً أن يسبق الجهاد الاعداد الشامل ، المادي والمعنوي . قلنا لهم : قد أصبتم ، ولكن كيف يتم هذا الاعداد الشامل والكامل في نظركم ، هل يتم بطريقة فردية إتكالية ، أم بطريقة جماعية منظمة ؟ !

لانكاد نجد عندهم جواباً يُذكر ، سوى الخوف والارجاف من تبعات العمل الجماعي المنظم ـ لما يشكل من خطر على أمن وسلامة الطواغيت ـ خشية الفتنة بزعمهم .. ألا في الفتنة سقطوا !!

وهؤلاء مثلهم مثل من يقول بالشيء وعدمه في آن واحد نعم للجهاد ، لكن لا للأسباب المؤدية إليه !!

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ﴾ .[2]

﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلوا أخباركم﴾ .[3]

١ـ سبق تخريج هذه الأحاديث .   ٢ـ سورة العنكبوت : ٢ .   ٣ـ سورة محمد : ٣١ .

- شروط وقيود على العمل الجماعي المنظم :

إذْ نقول بشرعية العمل الجماعي المنظم - في حال غياب الدولة الإسلامية وعدم وجود خليفة للمسلمين - لانقول به على إطلاقه من دون قيد أو شرط ، وإنما نقيده بقيود شرعية ونشترط له شروطاً ، أهمها :

أولاً : وجود الضرورة الملزمة ، وتكمن - كما بيناها - في حال غياب الدولة الإسلامية وعدم وجود سلطان مسلم (خليفة) تجتمع عليه كلمة المسلمين ..

ثانياً : أن تقوم هذه الجماعة على أساس الكتاب والسنة (منهاج النبوة) ، وأن تتأسى بسير السلف الصالح وتتحرى فهمهم للدين والنصوص .

واي جماعة أو حزب يقوم على غير هذا الأساس ، ويتحرى فهم أهل البدع والأهواء للدين .. فهو تجمع باطل ومرفوض - شره أكثر من خيره - لايجوز الإنتماء إليه أو التكثير من سواده .

في الأثر عن ابن مسعود : من كثر سواد قوم فهو منهم .

وفي السنة ، قد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً . وسترون من بعدي اختلافاً شديداً . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإيّاكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة » .[1]

وقال ﷺ : « احفظوني في أصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم

١ـ سبق تخريجه .

ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد ، ويحلف وما يستحلف » .[1]

وقال:« لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها ، لايزيغ بعدي عنها إلاّ هالك».[2]

وقال : إن بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ،وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلاّ ملة واحدة «قال:«ما أنا عليه وأصحابي».[3]

شاهدنا من هذه النصوص أن الجماعة الناجية المنصورة التي يجب الانتماء إليها والتكثير من سوادها هي الجماعة التي تتمسك بالكتاب والسنة وتكون على ماكان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح من بعده ، وسواها من الجماعات مهما كثر عددها وانتشر صيتها وضرب اسمها الآفاق ، لايجوز الانتماء إليها والتكثير من سوادها ، فالحق لايعرف بالكم إنّما يُعرف بالكيف المطابق للكتاب والسنة .

ثالثاً : أن تكون الغاية من العمل الجماعي المنظم ، التعاون على البر والتقوى ، والقيام بفريضتي الإعداد والجهاد في سبيل الله ، والجماعة هنا ـ متمثلة في أميرها ـ تقوم مقام السلطان المسلم في الذود عن الدين وعن حرمات المسلمين قدر المستطاع ، إلى حين قيام الخلافة العامة للمسلمين .

قال تعالى :﴿وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.[4]
وقال : ﴿ وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ﴾ .[5]

١ـ رواه ابن ماجة ، السلسلة الصحيحة « ١١٦ » . ٢ـ صحيح .(ـ تخريج السنة) .

٣ـ سبق تخريجه . ٤ـ سورة المائدة : ٢ . ٥ـ سورة الأنفال : ٦٠ .

وهذه آية محكمة ، العمل بها وبمقتضاها واجب سواء كان للمسلمين دولة وسلطان مطاع ، أم لم يكن لهم دولة ..

وقال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .[1]

وقال : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ .[2]

وقال ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .[3]

وقال : ﴿ فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلاّ نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ .[4]

وعدم وجود إمام (خليفة) للمسلمين تجتمع عليه كلمتهم ، لايعطل من مسيرة الإعداد ومن ثمَّ الجهاد في سبيل الله .

كما في الحديث الصحيح : « لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لايضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك » .

فالحديث صريح فيه أن هذه العصابة المؤمنة المقاتلة هي موجودة في زماننا وفي كل زمان إلى أن تقوم الساعة ، وهي تقوم بواجب القتال في سبيل الله لاتخاف في الله لومة لائم ، سواء كان للمسلمين خليفة مطاع أم لم يكن .[5]

١ـ سورة الأنفال : ٣٩ .   ٢ـ سورة البقرة : ٢١٦ .   ٣ـ سورة آل عمران : ١٠٤

٤ـ سورة النساء : ٨٤ .   ٥ـ من يقول غير ذلك يستلزم منه أن يعطل الجهاد ـ والجهاد ماض ـ في كثير من بلاد المسلمين كما يستلزم منه أن يعتبر الجهاد في فلسطين وأفغانستان والفلبين وغيرها من البلدان .. جهاداً غير شرعي وباطل ، وهذا لايقول به إلا جاهل بفقه الجهاد ، أو رجل لايريد للأمة أن تقوم لها قائمة !! والمسألة قد أوفيناها بحثاً في كتاب « دعاة وقضاة » انظره .

رابعاً : أن يقوم العمل الجماعي المنظم على أساس توحيد كلمة المسلمين جميعاً ـ على منهاج النبوة ـ في حزب واحد ، وذلك قدر المستطاع ..

وعليه أي فرقة بين المسلمين يمكن ترميمها والمسلمون لايفعلون ، فهم آثمون وقد عصوا الله ورسوله ، وعملوا على تمكين العدو منهم .

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ .[1]

وقال : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [2] . وقال : ﴿ فاتقوا الله ماساتطعتم ﴾ .[3]

خامساً : لايجوز تشكيل أي عمل حزبي جديد في أي قطر من أقطار المسلمين ، إذا كانت الجماعة في هذا القطر قائمة وموجودة قبلاً ، لأن قيام جماعات متعددة ـ منهجها واحد ـ لامبرر له ومن شأنه أن يفرق كلمة المسلمين ويضعف شوكتهم .

وفي حال خطأ الجماعة الأولى وانحرافها عن جادة الصواب ، يقدر خطؤها ، فإن كان في العقائد والأصول ـ أي انحرفت عن منهاج النبوة بالقدر الذي يبرر الخروج عليها ـ يتخلى عنها المسلمون ويشرعون في عمل جماعي جديد يقوم على أساس منهاج النبوة ..

أما إن كان خطؤها في الفروع أو في السلوك لبعض أفرادها ، لايجوز الانقسام عليها وتشكيل جماعة جديدة ، لأن فرقة المسلمين وانقسام كلمتهم في جماعات متغايرة متباغضة أشد خطراً وضرراً على المسلمين من البقاء في

١ـ سورة الأنعام : ١٥٩ .　　٢ـ سورة الأنفال : ٤٦ .　　٣ـ سورة التغابن : ٦٤ .

حزب فيه بعض الأخطاء الفرعية والسلوكية التي يمكن إزالتها بشيء من الصبر والنصح الواعي .

باختصار نقول : عند الإقبال على عمل من هذا القبيل ، لابد من ترجيح ـ من منظور شرعي ـ أيهما أشد ضرراً وأكثر نفعاً ، والمسلم يختار دائماً ماضرره أقل ونفعه أكثر لدينه ودنياه .

سادساً : أن تعيش الجماعة ـ قدر المستطاع ـ اهتمامات الأمة ، فتهتم بأمور المسلمين الخاصة منها والعامة ، من دون تمييز أو تفريق بين أحد من المسلمين ، فالمسلمون جميعاً إخوة في الدين ، تتساوى ذممهم لاتفاضل فيما بينهم إلاّ بالتقوى والعمل الصالح .

قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .[1]

وفي السنة ، قد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس لما يصيب الجسد ».[2]

وقال : « المؤمنون كرجل واحد ، إن اشتكى رأسه اشتكى كله ، وإن اشتكى عينه اشتكى كله » .[3]

فلا يجوز للمسلم ـ وهو يستطيع ـ أن يسلم أخاه المسلم للظلم والفقر والجوع ..

سابعاً : على الجماعة أو الحزب أن ينهج ـ بالقول والعمل ـ مع جميع

١ـ سورة الحجرات : ١٠ . ٢ـ رواه أحمد ، السلسلة الصحيحة : « ١١٣٧ » .

٣ـ رواه مسلم (صحيح الجامع) .

المسلمين من دون استثناء أو تمييز ، مبدأ الموالاة والمعاداة في الله ، فيحب في الله ، ويبغض ويعادي في الله وفق ماأمر الله تعالى من دون زيادة أو نقصان .

ولتحذر الجماعة أشد الحذر من أن يكون ولاؤها يعقد على أساس الانتماء الحزبي ـ كما هو شأن أكثر الأحزاب المعاصرة ـ فمن كان من الحزب أو الجماعة يُعطى مطلق الحب والولاء وإن كان فاسقاً لايستحق هذا القدر من الموالاة ، ومن كان خارج الجماعة أو الحزب يُعادى ويُجافى وإن كان مسلماً فيه من الصفات الحسنة التي توجب موالاته !!

وهذا أشد ماينكر على الأحزاب الإسلامية المعاصرة .. !!

لكن يجب أن ننتبه إلى أمر مهم قلّ من ينتبه إليه ، وهو التفريق بين الولاء الحزبي المذموم ، والولاء الحزبي الممدوح ، حيث كثير من يخلط بينهما !

فالولاء الحزبي المذموم : صوره عديدة ، منها أن تعقد الموالاة على أساس الانتماء الحزبي فمن كان من الحزب ـ وإن كان فاسقاً ـ له الأولوية في كل شيء ويُعطى من الموالاة مالا يُعطاه من كان خارج الحزب وإن كان الآخر أكثر منه تديناً والتزاماً !

ومنها ، أن يغضب المرء لحزبه في الحق والباطل ، فيدافع عنه وهو مخطىء كما يدافع عنه وهو محق .. !!

ومنها ، تقديم قول الحزب وتعاليمه ، على قول الله عز وجل وقول رسوله ..! وهذا ندركه في خُلُقِ كثير من الأحزاب المعاصرة التي تسمي نفسها إسلامية !!

ومنها ، أن لايُقبل الحق إلا إذا أتى عبر القنوات الحزبية ، امّا إذا أتى الحقُّ

من غير قنوات الحزب فهو مرفوض ، أو على الأقل لاينال قبوله الأول .. !!

وهذا النوع من الموالات مما لاشك فيه أن الإسلام لايقره ولا يرضاه ، ويبغضه أشد البغض .[1]

يقول ابن تيمية رحمه الله : وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحذب أي تصير حزباً ، فإن كانوا مجتمعين على ماأمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم مالهم وعليهم ماعليهم .

وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم ، سواء كان على الحق أو الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذَمَّه الله تعالى ورسوله ، فإنَّ الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان .[2]

أما الولاء الحزبي الممدوح : يكون بمناصرة الجماعة والأخوان في الحق دون الباطل ، فيزود عنهم ـ في الحق ـ بالمال والنفس ، ويدفع عنهم الشبهات والأذى مااستطاع إلى ذلك سبيلا ، ويشهد على المحسن بأنه محسن ، وعلى المسيء بأنه مسيء كما أمرَ الله تعالى من دون زيادة أو نقصان .

وهذا النوع من الموالاة قد مدحه الإسلام وأمر به المسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا ، فإنَّ حزب الله هم الغالبون ﴾ .[3]

١ـ انظر فصل « الولاء الحزبي » من كتاب « دعاة وقضاة » .

٢ـ الفتاوى : ١١ / ٩٢ .

٣ـ سورة المائدة : ٥٦ .

وقال : ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .[1]

وفي السنة ، قد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن يُنتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلاّ خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن يُنتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » .[2]

وقال ﷺ : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلوماً ، قيل : يارسول الله نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالمًا ؟ قال : « تكفه عن الظلم ، فذاك نصرك إيّاه » .[3]

في هذا الحديث توضيح للفارق بين الولاء الممدوح والولاء المذموم ، فالولاء الممدوح يكون بنصره مظلوماً وكفه ظالمًا ، أما الولاء المذموم يكون بنصره ظالمًا كما ينصره مظلوماً !

ثامنًا : إذا أقيمت دولة الإسلام (الخلافة) ونصب المسلمون عليهم خليفة يراسهم ويجمع شملهم ويزود عنهم وعن دينهم .. وجب على الجماعة أو الحزب أن يحل نفسه ويأتمر بإمرة الإمام العام للمسلمين ، وكذلك بقية الأحزاب لعدم وجود مايبرر وجودها شرعاً .

هذه أهم الشروط التي يجب على الجماعة أن تلتزم بها ، وفي حال عدم التزامها يكون عدم وجدها أفضل من وجدها ، والله تعالى أعلم .

١ـ سورة التوبة : ٧١ .　　٢ـ رواه أحمد ، وأبو داود ، صحيح الجامع الصغير : « ٥٦٩٠ » .

٣ـ متفق عليه .

ـ التمثيل النيابي ، ودخول البرلمانات :

يعتبر التمثيل النيابي من أبرز الأسس التي يقوم عليها النظام الديمقراطي الحر ، وتتم عملية التمثيل النيابي عن طريق قيام الشعب بترشيح وانتخاب ممثلين ينوبون عنه في الحكم ، ويكون ذلك بعد حملة دعائية تقوم بها الأحزاب والشخصيات التي ترشح نفسها للتمثيل النيابي ، والذي يكسب أكثر أصوات الشعب ـ مهما كان اتجاهه الفكري وانتماؤه العقدي ـ هو الذي يخول في أن يحكم البلاد .

ونحن في الإسلام إذْ لانرفض مبدأ الانتخابات « مطلقاً ، إلا أنه يبقى لنا بعض الملاحظات والمآخذ التي يمكن أن نسجلها على نظام الانتخابات في النظام الديمقراطي الحر . منها :

أولاً : من شأن نظام الانتخابات في النظام الديمقراطي الحر ، أنه يتيح الحرية لجميع الأحزاب والاتجاهات ـ الصالحة منها والطالحة ـ أن يعبروا عن برامجهم الانتخابية ونظرتهم المستقبلية لحكم وإدارة البلاد ، بالطريقة التي يرونها مناسبة وتشد إليهم أنظار الناس ، كما لايخلو أن تكون بعض هذه البرامج الانتخابية ترفع شعارت العلمنة والكفر بدين الله عز وجل .

وهذا أمر معلوم بطلانه وفساده ، وأن الإسلام لايسمح به ولا يقره ، لأن أصل التعامل مع المنكر والكفر ـ كما ذكرنا من قبل ـ إنكاره ومحاربته ومحاربة أهله إن أبوا إلاّ ذلك ، وليس اعطاؤه الحرية ، حيث لاحرية للمنكر في الإسلام .

ثانياً : قولهم أن الذي يربح أكثر أصوات الشعب هو الذي يجب أن يحكم

البلاد ، قول لا يصح على إطلاقه ، حيث أن الشعب قد يختار نائباً عنه فاسقاً أو كافراً ينشد النظام العلماني ـ بحكم الدعاية الانتخابية وعوامل التجهيل والتضليل ـ ومن كان كذلك لايجوز الاعتراف به أو بشرعية حكمه ، فضلاً عن الرضى به حاكماً على البلاد والعباد ، ولو اختاره كل الشعب ، فاختيار الشعب في نظر الإسلام لايحيل الباطل حقاً ولا الحق باطلاً .. !

قال تعالى : ﴿ لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ .[1]

وأي سبيل أشد وأعظم على المسلمين من أن يحكمهم كافر عدو لله ولرسوه وللمؤمنين .. ؟ !

وقال تعالى : ﴿ وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي ، قال لاينال عهدي الظالمين ﴾ .[2]

فالظالم لاينال عهد الله في الحكم والولاية ، وإن اختاره الشعب بأكمله ..!

ثم لو كان مدار الأمر على اختيار الشعب مطلقاً ، لكان لمسيلمة الكذاب الحق في الحكم والولاية وليس لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأن الشعب وقتها أكثره ـ ارتد عن دينه ـ كان مع مسيلمة الكذاب ضد أبي بكر الصديق ..!

ولو أرادها أبو بكر في حينها ديمقراطية وعلى مبدأ الانتخابات الحرة ، لفاز مسيلمة الكذاب بأكثر أصوات الشعب .. !!

وفي الحديث ، قد صح عن النبي ﷺ ، أنه قال : « طوبى للغرباء ، قيل ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير ، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » [3]

١ـ سورة النساء : ١٤١ .　　٢ـ سورة البقرة : ١٢٤ .　　٣ـ رواه مسلم .

فعلى مبدأ الانتخابات الديمقراطية الحرة ، فهؤلاء الغرباء ـ الذين قال عنهم الرسول ﷺ طوبى لهم ـ لايمثلون جانب الحق ولا يحق لهم الحكم والولاية ، لأن الأكثرية لاتطيعهم ولا تريدهم .. !

فظاهر بما لايدع مجالاً للشك أو الريب أن الأكثرية لاعبرة لها في نظر الإسلام إذا خالفت الحق والصواب ، كما سبق بيان ذلك في ردنا على مبادئ وأسس الديمقراطية .

ثالثاً : من شأن الانتخابات الحرة .. أن تعرض المرشّحين للاستشراف في طلب الامارة والولاية حتى وصل الحال مع بعضهم ـ في بعض البلدان ـ إلى أن يشتروا أصوات الناس بالمال مستغلين حاجتهم وفقرهم .. ! ولربما يصل استشرافهم أحياناً إلى حد التقاتل .. !!

وهذا خلق لايقره الإسلام ولا يرضاه ..

كما في الحديث الصحيح : « إنّا والله لانولي عل هذا العمل أحداً سأله ولا أحدا حرص عليه » .[1]

وقوله ﷺ : «انكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة».[1]

والمسألة قد فصلنا فيها أكثر في ردنا على من يقول بتعددية الأحزاب في ظل الدولة الإسلامية فلتراجع .

رابعاً : من شأن الانتخابات الحرة .. أن تعرض المرشّحين لأن يزكوا أنفسهم على الله فيذبحون أنفسهم بالتمادح والرياء ، وذكر البطولات التي أنجزوها ..

١ـ سبق تخريجه .

كما يضطرون إلى الكذب ـ من متطلبات نجاح الدعاية الانتخابية ـ باعطاء المواعيد الكاذبة للناس ، فيمنونهم الأماني ـ لوصوتوا لهم ـ ويجعلونهم يعيشون أحلام وعودهم الكاذبة .. !

وهذا كله مما يعلم بطلانه ، وأن الإسلام ينكره ويحرمه .

كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا ﴾ [1] . وقال : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ .[2]

وفي السنة ، قد صح عن النبي ﷺ انه قال : «إيّاكم والتمادح فإنه الذبح».[3]

وقال : « من كان مادحاً أخاه لامحالة فليقل : أحسب فلاناً ، والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك منه » .[4]

وقال : «من سمّع الناس بعمله ، سمع الله مسامع خلقه ، وصغره وحقره».[5]

خامساً : من شأن الانتخابات الحرة .. أن توصل أشخاصاً وأحزاباً إلى الحكم ، لاتمثل الأكثرية من الشعب كما يدعون !

ولو افترضنا أن خمسة أحزاب ـ والباب مفتوح لمن يريد ـ رشحت نفسها للانتخابات . فالحزب الأول حصل على نسبة ٣٠٪ من أصوات الشعب ، والثاني حصل على نسبة ٢٥ ٪ من الأصوات ، والثالث حصل على نسبة ٢٠ ٪ من الأصوات ، والرابع حصل على نسبة ١٥ ٪ من الأصوات ، والخامس حصل على نسبة ١٠ ٪ من الأصوات .

---

١ ـ سورة النساء : ٤٩ . ٢ ـ سورة النجم : ٣٢ . ٣ ـ صحيح الجامع الصغير . ٤ ـ متفق عليه .

٥ ـ رواه الطبراني ، والبيهقي ، وأحمد ، صحيح الترغيب والترهيب : « ٢٣١ » .

فالحزب الذي يخول ـ حسب قانون الانتخابات الحرة ـ أن يحكم البلاد هو الحزب الذي حصل على ٣٠ ٪ من أصوات الشعب ، علماً أن ٧٠ ٪ من الشعب ـ بحكم تفرق أصواتهم بين الأحزاب ـ لايريدونه ولا يمثلهم ، وما كان كذلك لايصح أن يطلق عليه صفة التمثيل لأكثر عدد الشعب !!

سادساً : في الانتخابات الحرة .. قد تتدخل عدة عوامل خارجية وغير قانونية ، تجعل من نتائج الانتخابات غير منصفة وعادلة ، ولا تمثل الرغبة الحقيقية لأكثرية الشعب ، منها :

١ ـ عامل المال ، وأثره الواضح على نجاح الحملة الدعائية للانتخابات . فبقدر مايصرف على الحملة الدعائية من مال بقدر ماتكون قوية وناجحة ، وبقدر مايكون النجاح حليف المرشّح ، وإن كان في الحقيقة لايمثل تطلعات وآمال أكثرية الشعب !

وفي كثير من البلدان الفقيرة التي تحصل فيها مثل هذه التجارب ، يلعب المال دوراً فاعلاً في إنجاح شخص دون شخص أو حزب دون حزب ، حيث يشترون أصوات الناس بثمن دراهم معدودة مستغلين فقرهم وحاجتهم للعيش !!

٢ ـ عامل القرابة أو القبيلة ، حيث أن الولاء للقبيلة أو العائلة يحتم على أفراد القبيلة ـ ولو بالإكراه ـ أن يصوتوا لابن قبيلتهم ، وإن كان في الغالب لايمثل تطلعاتهم وآمالهم .. !

٣ ـ العامل الإعلامي ، بحيث كلما توفرت قدرة إعلامية قوية تخدم المرشح وتبرزه كبطل ورمز ـ وإن كان في الحقيقة غير ذلك ـ بقدر مايكون النجاح حليف هذا المرشح .. !

علماً أن شخصيات أخرى قد تكون أفضل منه ، وأكثر منه تمثيلاً للشعب ومصالحهم وتطلعاتهم ، لكن لعدم وجود القدرة الإعلامية التي تغطي متطلبات العملية الانتخابية ، لايفوزون في الانتخابات .. !

٤ـ تدخّل الأنظمة وأصحاب المصالح والقوى والنفوذ ، باستغلال نفوذهم وقوتهم لانجاح شخص دون شخص ، أو حزب دون حزب لتحقق مصالحهم من خلال هذا الحزب والاتجاه دون الآخر ، وهذا أمر معلوم لدى من عنده أدنى دراية بلعبة الانتخابات الحرة .. !

سابعاً : ومما يؤخذ أيضاً على نظام الانتخابات الحرة ، أن عملية التصويت تقوم بها جميع شرائح المجتمع وفئاته ، الصالح منها والطالح ، وبغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعقدية ، فما يحق لأتقى الناس وأصلحهم وأعلمهم ، يحق لأكفر الناس وأفجرهم وأجهلهم ، وكلاهما لهما نفس الأثر في اختيار من يحكم البلاد والعباد !!

وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة بطلانه وفساده ، كما قال تعالى : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾[1] . وقال : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾[2] . وقال : ﴿ يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ماعنتم قد بدت البغضاءُ من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر﴾[3].ولاشك أن تفويض اختيار من يحكم البلاد والعباد ـ أخطر القضايا وأحسها على أمن وسلامة المسلمين ـ للكفار والزنادقة والمرتدين فهو اتخاذ لهم بطانة من دون المؤمنين ، وهو من أعظم ما أحدث في ديار المسلمين .

١ـ سورة الزمر : ٩ . ٢ـ سورة القلم : ٣٦ . ٣ـ سورة آل عمران : ١١٨ .

- دخلول البرلمانات :

ليست العبرة في دخول البرلمان كبرلمان ومنبر سياسي - فالسياسة من الدين - وإنما العبرة فيما تيرتب على دخول البرلمان - لنظام جاهلي علماني - من مزالق عقدية وشرعية ، لاتحمد عقباها ولا يقرها الإسلام ولا يرضاها لأتباعه المؤمنين .

أهم هذه المآخذ والمزالق :

أولاً : من مستلزمات دخول البرلمان - لأي نظام جاهلي علماني - أن يقوم النائب المرشّح بإعطاء القسم والعهد على الوفاء للدستور الوضعي الذي يحكم البلاد ، والذي يعتبر في نظر الإسلام طاغوت يجب الكفر به .

وهذا يعتبر مزلق عقدي شنيع لاتبرره غاية لقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا ﴾ .[1]

فاعتبر سبحانه وتعالى إيمانهم زعماً لاحقيقة له في القلب لمجرد إرادتهم في التحاكم إلى الطاغوت - في أمر من الأمور - رغم أنهم قد أمروان يكفروا به .

ولا شك أن من يسلم الولاء لشريعة الطاغوت ، ويقسم الأيمان المغلظة - من غير إكراه ملزم - على الوفاء لها ، هو أشد نقضاً لدعوى الإيمان ، وأشد جرماً من أولئك الذين تحاكموا إلى الطاغوت في أمر من أمور حياتهم .. !

قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة

---

١ - سورة النساء : ٦٠ .

الوثقى لاانفصام لها ﴾ .[1]

وقال: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.[2]

قال ابن القيم رحمه الله : الطاغوت كل ماتجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته .[3]

وقول أحدهم : أننا عندما نقسم يمين الطاعة والولاء للدستور الوضعي ، نورّي ونضمر في القلب الدستور الإسلامي !!

نقول له : قولك هذا معلوم بطلانه شرعاً ، وأنه لايصح أن يحمل إلاّ للمكره فقط ـ والإكراه الملزم على قول الكفر والتصريح به له ضوابطه وشروطه التي بينتها الشريعة ـ وهؤلاء مقولتهم النكرة البشعة قالوها تطوعاً وبإرادتهم من غير إكراه ملزم ، فأنّى أن يحمل حالهم على المكره .. ؟!

كما قال تعالى : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾.[4]

ثانياً : من مستلزمات دخول البرلمان .. الاعتراف بشرعية الأحزاب

١ـ سورة البقرة : ٢٥٦ .

٢ـ سورة النحل : ٣٦ .

٣ـ إعلام الموقعين : ١ / ٥٠ .

٤ـ سورة النحل : ١٠٦ .

والشخصيات الكافرة التي تعادي الله والدين ، والاعتراف بحقها في أن تحكم البلاد لو حصلت على الأكثرية من أصوات الشعب أو أعضاء البرلمان !

مثل هذا الاعتراف سبق أن بيـّنا أنه يعتبر مزلقاً عقدياً ينقض الإيمان وينفيه .

لقوله تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ .[1]

وقوله : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ .[2]

وقوله : ﴿ إن الذين ارتدّوا على أدباهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ .[3]

فهؤلاء كفروا وارتدوا عن دينهم ـ بعد أن تبين لهم الهدى ـ لقولهم للكفار الذين كرهوا ما أنزل الله من الأحاكام والآيات ، ـ سنطيعكم في بعض الباطل الذي أنتم عليه ، ولا شك أن من يعترف طوعاً بشرعية الكفر وبحقه في حكم بلاد المسلمين لو نال أكثر أصوات النواب أو الشعب ، أنه قد أطاع الكفار ـ الذين يكرهون أن تطبق أحكام الله وشريعته ـ في بعض باطلهم إذا لم يكن كله .

ثالثاً : من شأن المسلم عندما يدخل البرلمان ، ويقف في ظل مظلة نظام جاهلي كافر ، أن يُضفي الشرعية على هذا النظام ، ويظهره بمظهر النظام المقبول شرعاً ، مما يترتب على ذلك تضليل العوام من الناس ، وإظهار الباطل لهم بمظهر الحق الذي يجب أن يتبع !!

وهذا أمر قد نهت عنه الشريعة وحذرت منه أشد التحذير ، فقد صح عن

١ـ سورة النساء : ١٤١ . ٢ـ سورة الأنعام : ١٢١ . ٣ـ سورة محمد : ٢٥ـ ٢٦ .

النبي ﷺ ، أنه قال : (يليكم عمال من بعدي يقولون مايعلمون ، ويعملون بما يعرفون ، وطاعة أولئك طاعة ، فتلبثون كذلك دهراً ، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون مالا يعلمون ، ويعملون مالا يعرفون ، فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم ، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا) .[1]

هلكوا بأنفسهم لما ضلوا بمساعدتهم لأمراء السوء ، وأهلكوا غيرهم ممن يقلدونهم من عامة الناس عندما أصبغوا الشرعية على حكام السوء ، وأظهروهم للناس على غير حقيقتهم ..!

وقال ﷺ : « ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فمن أدرك ذلك منهم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ، ولا خازناً »[1]

فإذا كانت هذه المفاصلة بحق أمراء مسلمين يحكمون بما أنزل الله ـ لكن فيهم هاتين الصفتين السيئتين ـ فمن باب أولى مفاصلة حكام كفار لا يحكمون بما أنزل الله ، ويحتكمون إلى شرائع الطاغوت ، ويحاربون الإسلام بجميع مايملكون من وسائل الترغيب والترهيب .

لاشك أن هؤلاء الحكام الكفرة أولى بالاعتزال والمفاصلة من أولئك الحكام المشار إليهم في الحديث .

وفي هذا يقول ابن الجوزي : من تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراءَ والسلاطين ومداهنتهم ، وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك .

وربما رخَّصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً . فيقع

١ـ رواه ابن حبان ، السلسلة الصحيح « ٣٦٠ » .

بذلك الفساد لثلاثة أوجه :

الأول : الأمير يقول لولا أني على صواب لأنكر عليّ الفقيه ، وكيف لاأكون مصيباً وهو يأكل من مالي .

والثاني : العامّي أنه يقول : لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله ، فإنّ فلاناً الفقيه لايبرح عنده .

والثالث : الفقيه فإنه يُفسد دينه بذلك .

وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول : « ماأخاف من إهانتهم لي ، إنّما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم[1] » فتأمّل .

رابعاً : من مستلزمات دخول البرلمان .. إعطاء يمين الولاء والسمع والطاعة للحاكم الكافر الذي لايحكم بما أنزل الله .. وهذا مايتعارض مع عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .

قال تعالى : ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ .[2]

وقال : ﴿ لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلآ أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ .[3]

وقال : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ .[4]

١ـ تلبيس إبليس ، ص (١٤٨ـ ١٤٩) .
٢ـ سورة المجادلة : ٢٢ .
٣ـ سورة آل عمران : ٢٨ .
٤ـ سورة النساء : ١٤٤ .

وقال: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ماتخذوهم أولياء﴾.[1]

وفي السنة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: « سيليكم أمراء بعدي، يُعرّفونكم ماتنكرون، وينكرون عليكم ماتعرفون، فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله ».

وقال: « سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنّة، ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها» فقال عبدالله بن مسعود: يارسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله».

وقال: « لاتقولوا للمنافق سيدنا، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل ».

وفي رواية: «إذا قال الرجل للمنافق: ياسيد، فقد أغضب ربه تبارك وتعالى».[2]

فما يكون القول إذاً بالذين يخاطبون الطواغيت بعبارات التفخيم والإجلال والإكرام .. ؟!

خامساً: من مبادئ العمل النيابي .. اخضاع كل شيء يطرحه النواب للتنفيذ، لعملية التصويت والاختيار، والقرار يؤخذ بناء على ما تجتمع عليه أكثرية الأصوات ولو اجتمعت على باطل فيه تحليل لما حرم الله .. !![3]

١ـ سورة المائدة: ٨١.

٢ـ هذه الأحاديث كلها صحيحة ولله الحمد. انظرها في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

٣ـ في عهد الديمقراطية وحرية الأحزاب في السودان .. كان الصراع فيما بين الأحزاب حول تطبيق الشريعة الإسلامية ! فقالوا: لابد أن يأخذ الموضوع طريقة للتصويت لنرى من يريد الله ومن يريد شريعة كتشنر (الطاغوت)، وأي الشريعتين تنال أكثر الأصوات من النواب فهي التي تحكم البلاد.. !وبعد عملية التصويت ورفع الأيدي وخفضها، فازت شريعة الطاغوت بأكثرية الأصوات .. !!

وهذا مزلق عقدي لايستطيع النائب المسلم أن يتفاداه ، ومثل هذا العمل يترتب عليه عدة مزالق ومخالفات شرعية تُناقض الإيمان ، منها :

١ـ فيه تسوية واضحة بين شريعة الله عز وجل وبين شريعة الطاغوت ، إذْ كلاهما يخضعان بالتساوي لعملية التصويت ، كما وأن كلا الشريعتين تخضعان بالتساوي لعملية القبول والرد بحسب اختيار الأكثرية ورغبتها .. !

وهذا مما لاشك فيه أنه كفر بواح بدين الله عز وجل .

٢ـ فيه حصول التردد والخيرة في قبول أمر الله أو عدم قبوله، وهذا الأمر ينافي الإيمان لأنه ليس للمؤمن ـ إن أراد البقاء في دائرة الإسلام ـ الخيرة على دين الله ، وأن يقبل حكم الله متى يشاء ويرفضه متى يشاء .

قال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ .[١]

وقال : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ .[٢]

وقال : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[٣]. وقال : ﴿ والله يحكم لا معقبل لحكمه ﴾ .[٤]

فالاعراض عن حكم الله عز وجل ، ومعارضته بأهواء الأكثرية ـ بدعوى أن الاختيار للأكثرية ـ يبطل دعوى الإيمان بالله ورسوله ، ولو نطقوا

١ـ سورة النور : ٥١ . ٢ـ سورة الأحزاب ٣٦ .

٣ـ سورة النساء : ٦٥ . ٤ـ سورة الرعد : ٤١ .

بلسانهم ألف مرة أنّهم مؤمنون .

كما قال تعالى : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمين . وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ .[1]

٣ ـ اعتبار أن الأكثرية من النواب هي الجهة الوحيدة التي لها الحق في الحكم وسن التشريعات ، هو اشراك صريح لهذه الأكثرية مع الله عز وجل في أخص خصائص الوهيته .

قال تعالى : ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ .[2]

وقال : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[3] .

وقال : ﴿ أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾[4].

قال ابن كثير في التفسير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها . وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب

---

١ ـ سورة النور : ٤٧ ـ ٤٨ .
٢ ـ سورة الكهف : ٢٦ .
٣ ـ سورة المائدة : ٥٠ .
٤ ـ سورة الأنعام : ١١٤ .

قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير .

سادساً : من المزالق المترتبة على دخول البرلمان ، والتي يصعب تفاديها .. مجالسة أناس يستهزئون بدين الله عز وجل ، ويخوضون في آياته من غير علم[1] .

وهذا مانهت عنه الشريعة وحذرت منه أشد التحذير ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإمّا ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ .[2]

وقال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذاً مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ .[3]

قال سليمان بن عبد الله آل الشيخ : إن معنى الآية على ظاهرها ، وهو أنّ الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم ، وإن لم يفعل فعلهم لأن ذلك يتضمن الرضى ، والرضى بالكفر كفر .[4] وهذا ماقال به أهل العلم والتفسير .

وقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لاتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾ .[5]

١ـ من الاستهزاء بدين الله عز وجل والخوض في آياته ، أن تعرض شريعة الله للتصويت والاختيار .

٢ـ سورة الأنعام : ٦٨ .   ٣ـ سورة النساء : ١٤٠ .

٤ـ مجموعة التوحيد : ٤٨ .   ٥ـ سورة المائدة : ٧٧ـ ٧٨ .

جاء في التفسير : أن بني اسرائيل لما وقعت في المعاصي ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم !

وإذا كانت لعنة الله نزلت في علماء بني اسرائيل بعد أن نهوا قومهم عن المنكر فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم ، فما يكون القول في الذين يجالسون أهل المنكر والباطل من دون أن ينهونهم عن منكرهم وباطلهم .. ؟ ! لاشك أنهم أوجب لنزول اللعنة فيهم من أولئك .

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « سيكون في أخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقاً حلقاً إمامهم الدنيا ، فلا تجالسوهم ، فإنه ليس لله فيهم حاجة » .[1]

قلت : من باب أولى مجانبة مجالس الطاغوت التي يكفر فيها بآيات الله عز وجل .

وقال ﷺ : « سيكون أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن نابذهم نجا ، ومن اعتزلهم سلم ، ومن خالطهم هلك »[2] .

هلك لأنه يدخل إليهم بدين ، ويخرج بلا دين .. !!

وفي السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العرض في مسيره إلى أهل اليمامة لمـّا ارتدوا قدم مائتي فارس ، وقال : من أصبتم من الناس فخذوه ، فأخذوا مجاعة في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ، فلما وصل إلى خالد ، قال

١ـ رواه الطبراني ي، السلسلة الصحيحة : « ١١٦٣ » .

٢ـ رواه مسلم (صحيح الجامع الصغير) .

له : ياخالد لقد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ ، في حياته فبايعته على الإسلام ، وأنا اليوم على ماكنت عليه أمس ، فإن يك كذّابا قد خرج فينا فإن الله يقول : ﴿ ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرىٰ ﴾ .

فقال خالد : يامجاعة ، تركت اليوم ماكنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة ، وقد بلغك مسيري ، إقراراً له ورضاء بما جاء به ، فهلا أبيت عذراً وتكلمت فيمن تكلم ؟ فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري ..

فإن قلت : أخاف قومي فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي رسولاً ؟ !

فقال : إن رأيت ياابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ؟! فقال : قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك !![1]

فتأمل كيف أن خالدا اعتبر مجاعة تاركاً ماكان عليه بالأمس من الإسلام ، وأنه راض بأمر مسيلمة الكذاب لمجرد بقائه في سلطانه - مع استطاعته الخروج - من دون أن يبدي عذراً مقبلوا شرعاً يبرر بقاءه !.

سابعاً : يترتب على دخول البرلمانات ، ونهج العمل النيابي لتغيير الواقع الجاهلي الكافر .. مخاطر ومزالق نجملها في نقاط منها :

١ - تمييع مبدأ المفاصلة والتميز عن التجمع الجاهلي ،الذي جاء به الإسلام ..

٢ - تضليل الناس عن حقيقة الجاهلية المعاصرة ، وحقيقة نظرة الإسلام لها ..

٣ - يؤدي إلى تمييع فكرة الجهاد في سبيل الله ، واستهجان فكرة تغيير

---

١ - مجموعة التوحيد : ٢٩٩ .

الواقع الجاهلي الكافر عن طريق الجهاد .. في نظر الناس .

٤ـ تلبيس مفاهيم الكفر والإيمان على أذهان الناس ..

٥ـ يؤدي إلى اقناع الناس بامكانية تعايش الحق مع الباطل في سلام ، في ظلّ نظام علماني كافر ..

٦ـ فيه تشويه للمفهوم الصحيح لـ « لا إله إلا الله » ، وحقيقة التوحيد ..

لأجل ذلك ولما ذكرناه آنفاً من مزالق عقدية وشرعية ، تحصل من جراء دخول المجالس البرلمانية نقول : لايجوز للمسلم شرعاً أن يشارك كنائب أو وزير في نظام جاهلي علماني لايحكم بما أنزل الله .. ودعوى مصلحة الجماعة ، أو مصلحة المسلمين ، أو ضرورة إسماع الحاكم صوت الحق .. كل ذلك لايبرر المزالق العقدية والشرعية الآنفة الذكر ، والله تعالى أعلم .

ـ كلام لمحمد قطب في التمثيل النيابي ، ودخول البرلمان :

يقول الأستاذ محمد قطب : فهو يحتوي على مزالق خطيرة تصيب الدعوة في الصميم .

المزلق الأول : هو المزلق العقيدي ، فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم إلى شريعة الله وحدها دون سواها ، والذي يقول له دينه إن كل حكم غير حكم الله هو حكم جاهلي لايجوز قبوله ولا الرضى عنه ، ولا المشاركة فيه ، كيف يجوز له أن يشارك في المجلس الذي يشرع بغير ما أنزل الله ، ويعلن بسلوكه العملي في كل مناسبة أنه يرفض التحاكم إلى شريعة الله ؟! كيف يجوز له أن يشارك فيه ، فضلاً عن أن يقسم يمين الولاء له ، ويتعهد

بالمحافظة عليه وعلى الدستور الذي ينبثق عنه ، والله يقول سبحانه : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ .

وهؤلاء حديثهم الدائم مخالفة شريعة الله والإعراض عنها ، ولا حديث لهم غيره ينتظره المنتظر حتى يخوضوا فيه .. فكيف إذاً يقعد معهم ؟!

كل مايقال من مبررات : أننا نسمعهم صوت الإسلام ، أننا نعلن رفضنا المستمر للتشريع بغير ما أنزل الله .. أننا نتكلم من المنبر الرسمي فندعو إلى تحكيم شريعة الله .. كل ذلك لا يبرر تلك المخالفة العقيدية الواضحة ..

والمزلق الثاني : هو تمييع القضية بالنسبة للجماهير .. إننا نقول للجماهير في كل مناسبة أن الحكم بغير ما أنل الله باطل ، وإنه لا شرعية إلاّ للحكم الذي يحكم بشريعة الله ثم تنظر الجماهير فترانا قد شاركنا فيما ندعوها هي لعدم المشاركة فيه ، فكيف تكون النتيجة ؟! وإذا كنا نحن نجد لأنفسنا المبررات للمشاركة في النظام الذي نعلن للناس أنه باطل ، فكيف نتوقع من الجماهير أن تمتنع عن المشاركة ، وكيف تنشأ القاعدة الإسلامية التي يقوم عليها الحكم الإسلامي ، القاعدة التي ترفض كل حكم غير حكم الله ، وترفض المشاركة في كل حكم غير حكم الله !

إننا نحسب أننا بدخولنا البرلمانات نقوم بعمل ييسر قيام القاعدة الإسلامية ، لأنه يدعو إليها من فوق المنبر الرسمي الذي له عند الناس رنين مسموع ، ولكننا في الحقيقة نعوق قيام هذه القاعدة بهذا التمييع الذي نصنعه في قضية الحكم بما أنزل الله .. فلا يعود عند الجماهير تصور واضح للسلوك

الإسلامي الواجب في هذه المسألة .

ومن ثم فالجماعات الإسلامية ـ الداخلة في التنظيمات السياسية لأعداء الإسلام ـ هي الخاسرة في لعبة الدبلوماسية ، ، والأعداء هم الكاسبون ، سواء بتنظيف سمعتهم أمام الجماهير بتعاون الجماعات الإسلامية معهم ، أو تحالفهم معهم ، أو اشتراكها معهم في أي أمر من الأمور . أو بتمييع قضية الإسلاميين في نظر الجماهير وزوال تفردهم وتميزهم الذي كان لهم يوم أن كانوا يقفون متميزين في الساحة ، لا يشاركون في جاهلية السياسة من حولهم ، ويعرف الناس عنهم أنهم أصحاب قضية أعلى وأشرف وأعظم من كل التشكيلات السياسية الأخرى ، التي تريد الحياة الدنيا وحدها وتتصارع وتتكالب على متاع الأرض ، فضلاً عن مناداتهم بالشعارات الجاهلية واعراضها عن تحكيم شريعة الله[1] . ا ـ هـ .

ـ تنبيه :

قد يقول البعض : يُفهم مما سبق بيانه ، أنه لايجوز مطلقاً مجرد العمل أو الوظيفة في الأجهزة أو المراكز التابعة لهذه الأنظمة العلمانية التي لاتحكم بما أنزل الله ؟

والجواب : إن أي عمل أو وظيفة يقوم بها المسلم ، يُشترط لها شروط ، أهمها :

١ ـ أن لايؤدى العمل إلى مخالفات شرعية ، كالعمل في سلك القضاء والمحاماة ، لما في ذلك من تعامل مباشر مع القوانين الوضعية (الطاغوت)

---

١ ـ واقعنا المعاصر : ٤٦٣ ـ ٤٦٥ .

والعمل بمقتضاها .. فالرزق الحلال لا يطلب إلا بوسيلة حلال .ففي الحديث الصحيح : « إنّ الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله » .[1] فلا داعي لأن يُطلب بالحرام .

٢ـ أن لايكون في العمل أو الوظيفة تقوية للباطل والمنكر ، لأن ذلك يعتبر من باب التعاون على الأثم والعدوان .

والله تعالى يقول : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ﴾ .[2]

٣ ـ أن لايكون العمل ذاته فيه موالاة للطاغوت وإعانة على ظلمه وطغيانه ..

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ .[3]

وفي الحديث : « من أعان ظالمًا بباطل ليدحض بباطله حقا ، فقد برئ من ذمة الله عز وجل وذمة رسوله » .[4]

وقال ﷺ : « اسمعوا ، هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، وليس بوارد علي الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه ، وهو وارد علي الحوض »[5].

١ـ رواه الطبراني ، صحيح الجامع الصغير : « ١٦٣٠ » .

٢ـ سورة المائدة : ٢ .

٣ـ سورة النساء : ١٤٤ .

٤ـ رواه الطبراني ، والحاكم ، السلسلة الصحيحة : « ١٠٢٠ » .

٥ـ صحيح سنن الترمذي : « ١٨٤٣ » .

٤ ـ أن لايكون العمل مما نصَّ الشارع على حرمته : « فلا يكونن عريفاً ، ولا شرطياً ، ولا جابياً ، ولا خازناً » وكذلك وزيراً أو مستشاراً ..

٥ ـ عدم الاستشراف في طلب الوظيفة وسؤالها . لنهيه ﷺ عن ذلك .

مع مراعاة هذه الشروط ، فليتقدم المسلم ـ على بركة الله ـ على أي عمل كان ، والمسلم الكيس هو الذي يقدر العمل الذي يخدم الإسلام والمسلمين فيقوم به ، والعمل الذي يتخلله الحرام أو فيه اعانة للطاغوت على ظلمه ، فيبتعد عنه .

يقول الاستاذ محمد قطب في كتابه « واقعنا المعاصر » : الأصل في المسلمين أن يكونوا بقدر الإمكان في مواقع بعيدة عن ضغط الحكم الجاهلي عليه . ولكن هذا لايتوفر في جميع الأحوال فكثير من الناس تضطرهم ظروف المعيشة أن يدخلوا تحت هذا الضغط من أجل إعالة أنفسهم وإعالة ذويهم .. فأي الوظائف تحت هذه الضرورة أن يعملوا فيها ؟ لايوجد تحديد دقيق في الحقيقة ، ولكنا نقول : يصح لهم بصفة عامة إنَّه كلما قربت الوظيفة من السلطان فقد بعد موقع المسلم منها بالضرورة ..

ولكن في جميع الحالات لاينبغي للمسلم أن يكون وزيراً ، فإنه عندئذ يقع تحت الضغط المباشر للجاهلية ، بحيث لايستطيع الفكاك ، وابسط ذلك أن يقسم يمين الولاء للحكم الجاهلي الذي ينكره ، أو للطغاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ..

ولا أن يكون في موضع التعامل المباشر مع التشريع المخالف لما أنزل الله ، فإنه لا يستطيع عندئذ أن ينجو من مخالفة أمر الله ."[1]

---

١ ـ ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩ .

وقد رُوي عن الشعبي أنه كان يلعب بالشطرنج لمّا طلبه الحجّاج لتولية القضاء، رأى أن يلعب به ليفسق نفسه، ولا يتولى القضاء للحجاج، ورأى أن يحتمل مثل هذا ليدفع عن نفسه إعانة مثل الحجاج على مظالم المسلمين، وكان هذا أعظم محذوراً عنده، ولم يمكنه الاعتذار إلاّ بمثل ذلك، ورُوي عن سعيد بن جبير مثل ذلك.[1]

فتأمل كيف أن السلف كانوا يهربون من العمل عند الظالمين، حتى لايكونوا سبباً في إعانتهم على ظلمهم، وإن أدى ذلك بهم إلى ارتكاب بعض المحظورات التي هي دون إعانة الظالم على ظلمه وطغيانه .. ونحن لنا في السلف الصالح أسوة حسنة.

ـ المسلمون لايصلون إلى غاياتهم عن طريق الديمقراطية :

لايستطيع المسلمون أن يصلوا إلى غاياتهم ويحققوا أهدافهم الإسلامية عن طريق الديمقراطية أو النظام الديمقراطي، وذلك لسببين :

أولهما، أن الديمقراطية ليست هي الطريق الشرعي والصحيح الذي من خلاله يصل الإسلام إلى غاياته وأهدافه، فالإسلام دين الله، ودين الله له طريقه الرباني الخاص والمتميز عن غيره بكونه رباني المصدر والنشأة، وقد قضت حكمة الله تعالى أن لايتأتى النصر لهذا الدين إلاّ من خلال هذا الطريق الذي قضاه الله لعباده، ومهما نُشد الإسلام عن غير هذا الطريق، فقد ضلّ القوم الطريق الصحيح وأضلوا غيرهم وخاب فألهم.

في الحديث عن جابر بن عبد الله، قال : كنّا جُلوساً عند النبي ﷺ، فخط

---

١ ـ قاله ابن تيمية في « الفتاوى » : ٣٢ / ٢٣٨ و ٢٤٥.

خطاً هكذا أمامه فقال : « هـذا سـبيل الله عز وجل » وخط خطاً عن يمينه ، وخط خطاً عن شـماله وقال : « هذه سـبل الشـيطان » ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية : ﴿ وأن هذا صراطي مسـتقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .[1]

ولا شك في أن الديمقراطية هي من سـبل الشـيطان التي تفـرق العباد وتُبعدهم عن سـبيل الله صـراطه المستقيم ، من سلك طريقها فقد سـلك طريق الشيطان ، وأنّى لسالك طريق الشيطان أن يصل بسفينة الإسلام إلى شاطئ النصر والأمان ؟ !

كما أن حكمة الله تعالى قضت أن يكون الاسـتخلاف والتمكين لعباده في الأرض مرهون بعبادته تعالى وتوحيده ، وأن لايشرك به شيئاً .

قال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .[2]

وقال تعالى : ﴿ وعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعَمِلوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ .[3]

أما الديمقراطية ـ كما ذكرنا من قبل ـ فهي فكرة شركية تشرك الشعب مع الله ، بل تجعل جميع الأمور مردُّ الحكم فيها إلى الشعب من دون الله ! وإذا كانت الديمقراطية كذلك ، فكيف يُنشد نصر الله تعالى لمن يتبناها لنصرة الدين ؟! فهو كمن يتخذ الشرك وسيلة لنصرة الإسلام !!

١ـ رواه ابن أبي عاصم في السنة ، وصححه الشيخ ناصر في تخريجه (١٦) .

٢ـ سورة محمد : ٧ .　　　٣ـ سورة النور : ٥٥ .

﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ﴾[1] . ﴿ إنّ الشرك لظلم عظيم ﴾[2].

يقول سيد قطب رحمه الله : أذكر أن الأخ علي العشماوي أخبرني أن في مصر أخاً سودانياً زائراً وهو مندوب عن الإخوان هناك ، وقد يزورني . ولكن لم يُحدد موعد ولم تتم الزيارة ، غير أني علمت من الأخ علي أنه قابله مرة أو مرتين في الغالب ، وأنه وصف له حوادث السودان ودور الإخوان الأساسي فيها ، مما أدى إلى إنهاء الحكم العسكري هناك على ما هو معروف . كما أبدى له تفاؤله الكبير بقرب قيام حكم إسلامي في السودان نتيجة للانتخابات التي كانت لم تجر بعد .

واذكر أنني علقت وقتها مع هذا كله أنّ قيام حكم إسلامي في أي بلد لن يجيء عن مثل هذه الطرق وأنه لن يكون إلاّ بمنهج بطيء وطويل المدى ، يستهدف القاعدة لا القمة ، ويبدأ من غرس العقيدة من جديد والتربية الإسلامية الاخلاقية ، وأن هذا الطريق الذي يبدو بطيئاً وطويلاً جداً هو اقرب الطرق وأسرعها .

وقلت له كذلك ، إنهم لم يمروا بعد بالتجارب التي مررنا بها في مصر ، ولذلك لا بد أن يتركوا ليجربوا إذ أنني أظن أنهم لن يقبلوا منا توجيهاً في فورة الحماسة والتفاؤل »[3] .

ثانياً : كذلك من الأسباب التي تمنع المسلمين من الوصول إلى أهدافهم الإسلامية عن طريق الديمقراطية أو الانتخابات الشعبية ذلك التدافع والصراع بين الحق والباطل منذ أن وجدت الحيات على الأرض وأرسلت

١ـ سورة النساء : ٤٨ .   ٢ـ سورة لقمان : ١٣ .   ٣ـ لماذا أعدموني ، ص.٦٦ .

الرسل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالعدو الكافر كل كافر لن يرضى ولا يسمح أن تقام للإسلام دولة أو أن تكون له شوكة وقوة مادام يملك القوة أو القدرة التي تمكنه من تحقيق ذلك ، وإن أدى الأمر إلى خوض الحروب وقتل الآلاف من الناس ، فعندما تكون المركمة ضد الإسلام يصبح المحظور مباحاً ، والممنوع جائزاً والقيام به قانوني ودستوري !!

وإذا كان الأمر كذلك ، يكون من الغباء وجهل بدهيات الأمور أن يُحسن الظن بالكفار والمرتدين على أنهم يسمحون للمسلمين أن يُقيموا دولتهم عن طريق الكلمة أو المطالبة أو التصويت الشعبي وهذه البدهية التي نشير إليها ـ والتي يختلف عليها كثير من الناس ـ قد دلت عليها النصوص القرآنية ، وكذلك الواقع الملموس الذي نعيشه .

أمّا النصوص القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .[1]

وقوله : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾[2].

وقوله : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ﴾ [3]. وقوله : ﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمةً ﴾ [4]. وقوله : ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ .[5]

وغيرها كثير من الآيات التي تدل على أن الحق والباطل في صراع وتصادم ، وأن الباطل لن يرضى عن الحق وأهله ولو سالموه حتى يردهم عن

١ـ سورة البقرة : ١٢٠ . ٢ـ سورة البقرة : ٢١٧ . ٣ـ سورة البقرة : ١٠٩ .

٤ـ سورة التوبة : ٨ . ٥ـ سورة الرعد : ١٧ .

دينهم ويدخلهم في باطله وكفره إن استطاع إلى ذلك سبيلاً . أمّا دلالة الواقع الذي نعيشه فهو يصدق القرآن ، فإن ماجرى في تونس ، ومصر ، والسودان ـ قبل البشير ـ ، وتركيا ، والجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية عندما جرب المسلمون فيها الديمقراطية والعملية الانتخابية وكانت نتائج الانتخابات لصالحهم ، رأينا كيف تحولت ديمقراطية الطغاة إلى دكتاتورية صريحة ، وكيف جوّزوا لأنفسهم ـ باسم الديمقراطية ـ ماتحرّمه عليهم الديمقراطية ؟!

وكيف أن القوانين والدساتير تُلغي ، ويُعلن عن حالة الطوارئ ، وتتنزل الدبابات إلى الشوارع ويزج بالمسلمين في السجون ، ليحافظوا على سلامة الديمقراطية !!

فهم أرادوا للديمقراطية أن تدخل بلادنا لكي تكون لهم غطاء لنشر الإباحية والفساد ، وليتمكنوا من تدمير الأخلاق وتمييع الدين في نفوس المسلمين حتى يصبحوا بلا عقيدة ولا دين ، أما الديمقراطية التي تخدم المسلمين في شيء فهذا عكس ما قد خُطط له ودُبر ، وهو مما لا يجوز أن يقع !

لذلك نقول ـ ونحن على يقين مما نقول ـ أن الديمقراطية ليست هي الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى نصرة الإسلام ، وأن خوض غماره ضرب من العبث ، وتضييع للجهود والطاقات ، وإلقاء للأنفس في التهلكة .



ـ ماهو البديل ؟

كثير من يسأل : إذا كانت الديمقراطية ، والتمثيل النيابي .. ليس هو الطريق الصحيح الذي من خلاله يستطيع المسلمون أن يحققوا أهدافهم الإسلامية ، فما هو البديل ، وكيف السبيل لنصرة الإسلام وتثبيت سلطانه في الأرض ؟!

نقول : إن الجواب واضح وصريح في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ، لا لبس فيه ولا غموض ، ويتلخص بكلمتين : الاعداد ، ثم الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ .

وعندما نقول الإعداد ، نقصد به الإعداد الشامل ـ بجميع أبعاده المادية والمعنوية من دون تفريط أو تقصير في بذل جهد مستطاع ـ الذي يراعي ويأخذ بجميع الأسباب المشروعة لتحقيق النصر والغلبة على الأعداء .[1]

كما قال تعالى :﴿ وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ .[2]

١ـ من الإعداد : التصفية والتربية » التي يشير إليها استاذنا وشيخنا الفاضل ، محمد ناصر الدين الالباني . والتي منها تصفية « العقيدة » وما علق بها من شوائب وشركيات متداولة بين العباد ، حتى يعبد الله وحده من دون أن يشرك به شيئاً . لأن النصر والاستخلاف والتمكين في الأرض مرهون بذلك ، كما قال تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لايشركون بي شيئا ﴾ . سورة النور : ٥٥ .

٢ـ سورة الأنفال : ٦٠ .

وفي صحيح مسلم ، عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول ﷺ وهو على المنبر يقول : ﴿ وأعدوا لهم ماساتطعتم من قوة ﴾ الا إنّ القوة الرمي ، الا أن القوة الرمي الا أنّ القوة الرمي » .

وقال ﷺ : « من علم الرمي ثم تركه فليس منّا أو قد عصى » .[1]

وكان ﷺ ، يشجع المسلمين على الرمي ويحضهم عليه ـ لما له من دور مهم في قهر العدو ودحره ـ كما جاء في الحديث في صحيح البخاري ، أن النبي ﷺ مر على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي ﷺ : « ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بني فلان « قال الراوي : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم لاترمون ؟ « قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال النبي ﷺ : « ارموا فأنا معكم كلكم » .

والإعداد ـ بمفهومه الشامل ـ من حيث الحكم ، هو واجب عيني على جميع المسلمين ـ أفراد وجماعات ـ كل بحسب استطاعته ، لأن الله لايكلف نفساً إلا وسعها . وذلك لوجهين بيّنين : أولهما :أن النصوص التي تأمر بالإعداد ، قد دلت دلالة صريحة على الوجوب . ثانيهما : أن فريضة الجهاد لاتتم إلا إذا سبقها إعداد محكم ، لأن من متطلبات الخروج للجهاد في سبيل الله ، أن يسبقه الإعداد ، كما قال تعالى : ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ .[2]

١ـ صحيح مسلم . ٢ـ سورة التوبة : ٤٦ .

قلت : لوطبق المسلمون هذه الآية الكريمة تطبيقاً شاملاً وصحيحاً وأعدوا لمواجهة العدو الكافر جهد وسعهم واستطاعتهم ـ من دون توان أو تقصير ، أو اهتمام بجانب دون جانب آخر ـ لما كانوا بهذا الذل والهوان الذي هم فيه ، ولما استمطفوا الأعداء سوء حالهم ، وما استكانوا إلى الذين ظلموا .

والقاعدة الأصولية تقول : « مالا يتمُّ الواجب إلاّ به فهو واجب »

والتقصير بالواجب ـ فيما هو مطاق ـ إثم ومعصية . وفي قوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾ يقول سيد قطب رحمه الله : فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد ، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها .

وقال : فهي حدود الطاقة إلى أقصاها .. بحيث لاتقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها .[1]

وكون الجهاد هو الطريق الصحيح والشرعي الذي به يصل الإسلام إلى أهدافه ويحقق غاياته ، هو لتوافر النصوص من الكتاب والسنة التي تدل على ذلك دلالة قطعية .قال الله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ .[2]

وقال : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .[3]

وقال : ﴿ فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلاّ نفسك ، وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ﴾ .[4]

وقال : ﴿ وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ [5].

١ـ الظلال : ٣ / ١٥٤٣ .　　٢ـ سورة البقرة : ٢١٦ .

٣ـ سورة الأنفال : ٣٩ .　　٤ـ سورة النساء : ٨٤ .

٥ـ سورة النساء : ٧٥ .

وقال تعالى : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ .[1]

فإن ترك المسلمون ـ غفلة منهم ـ القتال في سبيل الله ، فالذين كفروا لايزالون يقاتلون في سبيل الطاغوت حتى يردوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا .

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .[2]

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .[3]

وقال : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله تعالى وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلّ والصَّغار على من خالف أمري » .[4]

وقال : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .[5]

وقال : « عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى ، فإنه باب من أبواب الجنة ، يذهب الله به الهم والغم » .[6]

وقال : «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق».[7]

١ـ سورة النساء : ٧٥ . ٢ـ سورة البقرة : ٢١٧ . ٣ـ صحيح البخاري .

٤ـ سبق تخريجه . ٥ـ صحيح البخاري . ٦ـ رواه الحاكم وغيره ، السلسلة الصحيحة : « ١٩٤١ » .

٧ـ صحيح مسلم . من المسلمين من يشدد النكير عليك لو حدثته عن الجهاد والغزو في سبيل الله ، ولربما اتهمك بالتهور والعنف ، وأنك صاحب فتنة .. كل ذلك لمجرد حديثك عن الجهاد !!

وقال : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم ».[1]

فالذلّ والهوان والضياع سببه دائماً الدعة والركون إلى الدنيا وملذّاتها ، والتخلي عن الجهاد في سبيل الله .

كما قال تعالى : ﴿ قل إن كان آبائكم وأبناؤكم ، وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ .[1]

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ،ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ .[3]

هذه صفة الذين يحبهم الله ويرضى عنهم ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخشون في الحق لومة لائم ، وليس الذين يشاركون الطواغيت كفرهم في الحكم معتبرين ذلك فتحاً ونصراً مابعده نصر ..!!

لكن اختيار الجهاد كطريق وحيد إلى العزة والنصر اختيار صعب لايختاره إلا أولو العزم من الرجال المؤمنين ، أمّا أولئك الذين أصيبوا بالوهن ـ حب الدنيا وكراهية الموت ـ تراهم يحايدون طريق « الجهاد » ويقللون من أهميته ، ويلتمسون طرقاً وسبلاً ـ ما أنزل الله بها من سلطان ـ على رأس كل طريق منها شيطان يدعو له .

---

١ ـ السلسلة الصحيحة : « ١١ » .　　٢ ـ سورة التوبة : ٨٠ .　　٣ ـ سورة المائدة : ٥٤ .

أمامه ، فقال : « هذا سبيل الله عز وجل » وخط خطا عن يمينه ، وخط خطاً
عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا جلوساً عن النبي ﷺ ، فخط خطا هكذا عن
شماله ، وقال : « هذه سبل الشيطان » ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا
هذه الآية: ﴿ وأن هذا طراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .[1]

وهؤلاء لو أرادوا أن يتكلموا عن الجها .. طنبوا الحديث عن جهاد النفس ..
وجهاد الشيطان والجهاد السلمي .. والقتال الدفاعي ، وما ذلك إلاّ لكره مرجف
في نفوسهم للقتال في سبيل الله .. !!

﴿كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كرهٌ لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرٌ لكم﴾.[2]

﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكمُ انفروا في سبيل اللهِ اثّاقلتم إلى
الأرضِ أرَضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة
إلاّ قليل ﴾ [3].

﴿ فإذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها لاقتال ، رأيت الذين في قلوبهم
مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾ [4].

ـ تنبيه :

قولنا أن البديل هو « الجهاد في سبيل الله » لاينـ نهم منه فقط جهاد السيف
ومواجهة الأعداء بالنفس والحراب ـ فهذا أفضل الجهاد ـ بل الأمر يتعداه إلى
الجهاد بالمال والكلمة ، فرب كلمة حق يصدع بها العالم المسلم ليواجه طغيان

١ـ كتاب السنة لابن أبي عاصم ، تحقيق الشيخ ناصر .

٢ـ سورة البقرة : ٢١٦ . ٣ـ سورة التوبة ٣٨ . ٤ـ سورة محمد : ٢٠ .

الطغاة، لها فعل السيوف على الرقاب وأشد.

وفي الحديث: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله».[1]

وقال ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».[2]

لكن أفضل الجهاد والمجاهدين، كما قال سيد المجاهدين ﷺ: «أفضل الجهاد من عُقِرَ جواده وأهريق دمه».

وقيل يارسول الله أي الناس أفضل؟ فقال: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله».[3]

★★★

١ـ رواه الحاكم، السلسلة الصحيحة: «٣٧٤».

٢ـ رواه أحمد، والطبراني، صحيح الجامع الصغير: «١٩٣٤».

٣ ـ صحيح البخاري.

خاتمة

ياقوم .. الديمقراطية لاتصلح لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ..

ياقوم .. لايغرنكم حال اليهود والنصارى في الغرب ، إذْ تبنوا الديمقراطية واعتقدوا بها ، فهم عندما رفضوا الدين وكفروا بالله تعالى ، وجدوا الديمقراطية حلا طبيعياً وبديلاً مناسباً لهم ، وكان حقا لهم ـ ماداموا لايؤمنون بالله العظيم ـ أن يرفضوا ألوهية حزب أو حاكم واحد ، ماداموا يملكون نفس الخصائص التي يملكها أو يدعيها ذاك الحزب أو الحاكم ، لذلك لا ضير عندهم أن يدعي كل شخص أو حزب حق الألوهية والحاكمية والتشريع لنفسه كما يدعيه الآخرون لأنفسهم .. ! فهذا شأنهم ، وليس بعد الكفر ذنب .

ياقوم .. لاتتبعوا اليهود والنصارى ولا تقلدوهم ، فتهلكوا وتخسروا دينكم ودنياكم .. « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ».[1]

واحذروا أن يصدق فيكم قول الرسول ﷺ : « حتى لو أن أحدهم ضجع أمه بالطريق لفعلتم ».[2]

ياقوم .. من أراد منكم أن يكون ديمقراطياً بالطريقة التي عليها أهل الغرب ، لايسمي نفسه مسلماً ، وليعلم أنه قد وقع في الكفر البواح وخرج من دائرة الإسلام ..

ياقوم .. لاتحسبوا الأمر هيناً عند الله ـ إن الله لايغفر أن يشرك به شيئاً ـ

---

١ ـ سورة الأنعام : ١٢١ .

٢ ـ سبق تخريجه .

هو منكم اعتداء على أخص خصائص ألوهيته وربوبيته ..

﴿ مالكم لاترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطوارا ﴾ .[1]

ياقوم .. لاتستعجلوا النصر على الله ، فتتبعوا السبل ، وتطلبوا النصر بمعصية الله .. ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [2]. ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاّ تتبعوا السبل ﴾ .[3]

ياقوم .. لاتغرنكم كثرة الجماهير التي تنادي بالديمقراطية، فهم والله غثاء ..

فطوبى للغرباء ، الذين يصلحون إذا فسد الناس .

ياقوم .. إني أحذركم عذاب يوم عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ .[4]

ياقوم .. ماأردت إلا النصح والإصلاح مااستطعت ﴿ إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .[5]

﴿ وياقومي مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار . تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . لاجرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد ﴾ .[6] صدق الله العظيم .

١ـ سورة نوح : ١٤ .
٢ـ سورة محمد : ٧ .
٣ـ سورة الأنعام : ١٥٣ .
٤ـ سورة عبس : ٣٤ـ ٣٧ .
٥ـ سورة هود : ٨٨ .
٦ـ سورة غافر ٤١ـ ٤٤ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم .

٢٧ رجب ـ ١٤١٠ هـ .

٢٣ شباط ـ ١٩٩٠ م .

أبو بصير

عبد المنعم مصطفى حليمة

★★★

١ـ سورة هود : ٨٨ .

٢ـ سورة غافر : ٤١ـ ٤٤ .

الفهرس